أنواع الحزن ، وضوابطه

دراسة عقدية

المقدمة

إن الحمد لله نحمد و نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فإن من أهم ما يجب العناية به لتحقيق العبودية لله تعالى "أعمال القلوب" وما يلحق بها من الأحوال؛ إذ القلب محل نظر الرب تبارك وتعالى، أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي هريرةﷺ أن النبي ﷺقال :«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ» وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ(١) .

ومن أهم تلك الأحوال ما يطرأ على النفس من الهموم والأحزان، ولا شك أن الهم والغم والضيق والقلق والخوف والحزن كلها أمراض وعوارض تفقد الإنسان الشعور بالسعادة والطمأنينة والأمن، وتؤدي إلى الإحباط واليأس الذي يحول دون السعي في الحياة وتحقيق العبودية لرب العالمين، وعامة من ضل في هذا الباب كان ضلاله بغية جلاء هذه الأحزان، أواستجلابها بغير سبيل الإسلام.

والإسلام دين الفطرة، وقد فطر الله ﷻ النفس البشرية على هذه الأحوال والغرائز، وهذبها بالشرائع لتتظافر بمجموعها ويحقق الإنسان معنى العبودية التي أمره الله تعالى بها، فلا يفرح فرح بطر، ولا يحزن حزن يأس؛ بل يضبط أحواله بميزان الشرع، وبالحكم العدل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لذا كان من الأهمية بمكان دراسة هذه الأحوال، وما يتعلق بها من ثواب أو عقاب ، وما هو مذموم منها وما هو محمود. وسأتناول في هذا البحث -بإذن الله تعالى- الموسوم ب(أنواع الحزن، وضوابطه. دراسة عقدية) ما يعرض للقلب من الحزن وأحكامه العقدية، وضوابطه.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

(١) رواه مسلم في صحيحه،كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم ، (١٩٨٦،٤) .

١/ إن علم السلوك من العلوم التي وقع فيها كثير من الاختلافات، وذلك حسب الأديان والتصورات والقناعات؛ لذا جاء هذا البحث ليجعل المنهج الشرعي حاكمًا على الأمور السلوكية ومعيارًا لها .

٢/ إن جميع النصوص الواردة في الحزن تبين عظم منة الله تعالى على عباده بوعدهم بالأمن منه (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون)، وهذا فيه دلالة على ضرر الحزن وإفساده للقلوب إن تمكن منها .

٣/ كون الأحوال القلبية تتداخل وتتشابك، فهي أمور باطنة، يصعب التفريق بينها؛ كالتفريق بين الأعمال الظاهرة، مما يجعل اللبس واردا فيها، فأردت إجلاء أحوال الحزن، وبيان ضوابطه.

٤/ البدع التي ابتدعها الصوفية وغيرهم من جعل الحزن من منازل السائرين، أو التعبد لله به، مما جعل من المهم تبيين مقام الحزن من الناحية الشرعية والتعبدية .

خطة البحث :

حوى البحث : مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: ويشمل:

أولًا: تعريف الحزن وبعض مرادفاته اللغوية .

ثانيًا: هل يشرع الحزن ؟

المبحث الأول: الحزن المتعلق بالأمر الشرعي، وضوابطه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحزن على فوات الطاعة ، وضوابطه .

المطلب الثاني: الحزن على فعل المعصية ، وضوابطه .

المطلب الثالث: الحزن البدعي .

المبحث الثاني: الحزن المتعلق بالأمر الكوني، وضوابطه، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحزن على المصائب الخاصة، وضوابطه .

المطلب الثاني: الحزن على مصائب المسلمين، وضوابطه.

المطلب الثالث: الحزن على مصائب الكفار، وضوابطه.

المطلب الرابع: الحزن على فوات الدنيا، وضوابطه .

الخاتمة.

الفهارس.

منهج البحث :

اتبعت المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية، والمنهج التحليلي في العرض والبيان، متبعة في ذلك الآتي:

١/ جمعت الآيات، وجُل الأحاديث التي ورد فيه لفظ الحزن، واستخلصت منها خطة البحث، وترتيبه.

٢/ أجملت في العرض بحسب تقسيم الخطة بما يتناسب مع طبيعة الأبحاث المختصرة .

٣/ خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها، واكتفيت بأحد الصحيحين إن وجد الحديث فيهما، وإلا خرجته من كتب السنن، والمسانيد، والمصنفات، وذكرت حكم العلماء عليه –إن وجدت– .

٤/ لأما ما يتعلق بالآثار فلم أستدل إلا بما استدل به السلف، وأدرجوه في مصنفاتهم.

٤/ عند التوثيق في الهوامش اكتفيت يذكر المرجع، ورقم الصفحة. وأثبت بيانات النشر الكاملة في قائمة المراجع .

٥/ عند النقل المباشر من المصدر أضع علامتي تنصيص، وإذا اختصرت أضع نقاطا محل الاختصار، أما اذا تصرفت بتقديم أو تأخير أو اختصار طويل، صدرت الإحالة بكلمة: انظر .

٦/ أكثرت من النقل عن ابن تيمية، وابن القيم، وذلك لأنهما من أوائل من فصل بهذه الأحوال على منهج السلف، وكل من أتى بعدهما، فهو عالة عليهما.

أسأل الله التوفيق والسداد .

تمهيد

أولًا: تعريف الحزن وبعض مرادفاته اللغوية .

الحزن لغة: "الحاء، والزاء، والنون" أصل واحد، وهو: خشونة الشيء وشدة فيه. ومن ذلك الحَزْن، وهو ما غلظ من الأرض[(١)] .ومنه ما رواه أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "اللَّهُمَّ لا سَهْلَ إِلاَّ ما جَعَلْتَهُ سَهْلاً وأَنْتَ تَجْعَلُ الحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلاً"[(٢)].

ويقال للحُزْن حَزَنْ لغتان كالرُّشْد والرَّشَد[(٣)] . وروى أبو عمرو: إذا جاء الحزن منصوبًا فتحوه، وإذا جاء مرفوعًا أو مكسورًا ضموا الحاء؛ كقول الله ﷻ: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ **[يوسف:٨٤]**، وفلان يقرأ (بِالتَّحْزِينِ) إذا أرق صوته به[(٤)] .

الحزن اصطلاحاً: الحُزْن والحَزَن: نقيض الفرح، وهو خلاف السرور[(٥)] .

وقال الجرجاني: "عبارة عما يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي"[(٦)] .

وقال المناويّ: "الحزن (بالضّمّ) هو الغمّ الحاصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب، ويضادّه الفرح"[(٧)] .

وقال الكفويّ : الحزن: "غمّ يلحق من فوات نافع أو حصول ضارّ، وقال بعضهم: الخوف علّة المتوقّع والحزن علّة الواقع"[(٨)] .

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٥٤).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٣/٢٥٥)، والبيهقي في "الدعوات الكبير" (٢٦٦)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ٢٨٨٦).

(٣) لسان العرب (١٣/١١٤).

(٤) مختار الصحاح (١/٧٢).

(٥) لسان العرب ١٣/١١١، مختار الصحاح ١/٧٢.

(٦) التعريفات ١/٨٦ .

(٧) التوقيف ١٣٩ .

(٨) الكليات ٤٢٨ .

وللحزن بعض المرادفات اللغوية، منها: الأَسَى: وهو حزن على الشيء يفوت[1] ، **والإبلاس**: وهو حزن مع قنوط، وقطع للرجاء من رحمة الله تعالى[2] ، قال النحاس: "المبلس المتحير الذي قد يئس من الخير"[3] ، وقال الفراء: "المبلس: القانط اليائس من النجاة"[4] .

وكذلك **الهم**: قال في "الصحاح": الهَمُّ: الحُزنُ والجمع الهُمومُ[5] ، والهم حزن مع قلق، قال ابن ابن الجوزي: "الْهم لما يتَوَقَّع، والحزن لما قد وَقع"[6] . وقال ابن القيم: "فإن المكروه الوارد على القلب إن إن كان من أمر مستقبل يتوقعه أحدث الهم، وإن كان من أمر ماض قد وقع أحدث الحزن"[7]

أما الغم: فقيل: هو ما لا يقدر الانسان على إزالته كموت المحبوب[8] .

وإذا كان مع الحزن غضب سمي : **أسف**[9] ، وقيل : الأَسَفُ: أشدُّ الحزن[10] ، و**الحسرة** :هي الحزن المصحوب بالندم على أمر فائت، قال الشربيني: "وهي شدة الحزن على ما فات من الأمر"[11] .

ومما تقدم يتبين أن الحزن شعور بالألم، ولكن قد يصحبه شعور آخر يجعله حزنا مخصوصا؛ والمقصود في هذا البحث ليس الحزن الطبعي الذي جبل عليه الإنسان عند حصول عارض يحزنه، فهذا لافكاك منه، وإنما المقصود هو ما ذكره الأطباء، وعرفوه من : ملازمة الأسف واستمرار الألم،

---

(١) فقه اللغة (١٣١،١) .

(٢) لسان العرب (٣٢،٦) .

(٣) معاني القرآن للنحاس (٣٨٤،٦) .

(٤) معاني القرآن للفراء (٣٧،٣) .

(٥) الصحاح (٢٠٦١/٥) .

(٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢١٥/٣.

(٧) الجواب الكافي ٧٣/١ .

(٨) معجم الفروق اللغوية (٥٦٠،١) .

(٩) الصحاح ١٣٣٠/٤.

(١٠) مقاييس اللغة ١٠٣/١.

(١١) السراج المنير(٣١٤/٣).

ومن أوائل من عرفه الفيلسوف الكِندي في رسالته "في الحيلة لدفع الأحزان" بأنه: "ألم نفساني يعرض لفقد المحبوبات وفوت المطلوبات"[1] . وتابعه عليه ابن مسكويه[(2)] .

وعرفه ابن القيم في "طريق الهجرتين" بأنه: "انخلاع القلب عن السرور، وملازمة الكآبة، لتأسف عن فائت، أو توجع لممتنع"[(3)] .

فتبين من هذه التعريفات أن الحزن إحساس مؤلم فهو "ألم نفساني" وهو ما عبر عنه بـ" توجع " و"تأسف" و"كآبة " تصيب النفس الإنسانية، لفقد محبوب كشخص مقرب، أو شيء عزيز على النفس، أو بفوت مطلوب: أي عدم قدرة الإنسان على تحقيق ما يطمح إليه، ثم بينت أنه: ملازمة الكآبة، وهذا هو المقصود، فليس هو الحزن العارض .

---

١ رسائل فلسفية للكندي والفارابي ، ص٦.

٢ انظر: تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه، ، ص١٨١.

٣ طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص٤٩٨.

ثانيًا: هل يشرع الحزن؟ :

لا يخفى أن الحزن حالة ضعف وانكسار ورقة تصيب النفس البشرية لما يعرض لها من الأسباب والأقدار الكونية أو المخالفات الشرعية، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أن لا يؤاخذ على أمر جبلي فطر عليه الإنسان، إلا أن الحزن وإن كان أمرًا فطريًا فإنه ليس مطلوبًا ولا مأموراً به في الشرع، بل جاءت النصوص الكثيرة في النهي عنه، قال ابن تيمية: "وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلق أمر الدين به؛ وذلك أنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة، ولا فائدة فيه ومالا فائدة فيه لا يأمر الله به"[(١)] .

وقد ذكر الحزن في القرآن اثنتان وأربعين مرة جميعها على سبيل الذم والنهي، وبيان أنه الله عاقب به أعداءه[(٢)] . ومن إعجاز القرآن الكريم أنه جمع بين الحزن والخوف في اثنتي عشرة آية[(٣)] .

وجاء النهي في الشرع عن الحزن بأساليب مختلفة، منها:

أولا- **الأمر بالاستعاذة من الحزن قبل وقوعه:** روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ: أن النبي ﷺ، قال لأبي طلحة: «التمس غلاما من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر» فخرج بي أبو طلحة مردفي، وأنا غلام راهقت الحلم، فكنت أخدم رسول الله ﷺ، إذا نزل، فكنت أسمعه كثيرا يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[(٤)] . فالهم والحزن قرينان وهما من آلام الروح ومعذباتها[(٥)] .

ثانيا- النهي المباشر عن الحزن بعد انعقاد أسبابه: حيث تظافرت الآيات في النهي عن الحزن مهما انعقدت أسبابه سواء الشرعية أم الكونية، ومن ذلك نهي النبي ﷺ عن الحزن بقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[النحل:١٢٧]،

---

(١) التحفة العراقية (٤٢) .

(٢) معجم ألفاظ القرآن ٢٨٣، ٨٤٤.

(٣) الدلالات النفسية واللغوية لمفهومي الخوف والحزن في القرآن الكريم (٢١) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب التعوذ من غلبة الرجال (٧٨/٨) .

(٥) الفوائد، لابن القيم (٢٠٧) .

"أي: ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به في أن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة"[1] .

وقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة:٢٦]قال ابن عباس: "يريد: لا تحزن على القوم الذين عصوك وعصوني"[2] .

وكقوله تعالى مواساةً للمؤمنين على ما أصابهم في أحد:﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]قال ابن جرير-: "وهذا من الله تعالى ذكره تعزية لأصحاب رسول الله ﷺعلى ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد"[3] .

ثالثا- الإرشاد إلى دفع الهم والحزن بعد وقوعه بالأسباب الشرعية والكونية، حتى لا يستوطن قلب المؤمن فيضعفه ويصرفه عن غايته . و من ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: " أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ "[4] .

---

(١) تفسير الطبري (٣٢٥،١٧).

(٢) تفسير الواحدي (١٧٥/٢).

(٣) المرجع السابق (٢٣٤،٧) .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٤٧،٦) ، وابن حبان في صحيحه(٢٥٠،٣)، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء(٨٣٣/٢): "أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط مسلم إن سلم عن إرسال عبد الرحمن عن أبيه فإنه مختلف في سماعه من أبيه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٣٣٧/١) .

ومن الأسباب الكونية ما دل النبي ﷺ أمته عليه مما يخفف لوعة الحزن، ويعين على ذهاب بعضه، فعن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساء، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها، ثم قالت: كلن منها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ المرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ».[1] فهذا الإرشاد النبوي يدل على أن الحزن حال غير محمودة يستحب دفعها، سواءً بالقول؛ كالتعوذ من الحزن والاسترجاع، أم بما هو مباح من طعام ونحوه .

رابعا- ولما كانت المصائب ونقص الأموال والأنفس والثمرات مظنة الحزن، ومن أعظم أسبابه، شُرع الاسترجاع عند المصيبة، وجعل الصبر والرضا من أكثر الأعمال أجرًا وفضلًا ما يدل على أن مقام الحزن ليس مقامًا مندوبًا إليه ولا مطلوب شرعًا . فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: {إنا لله وإنا إليه راجعون} [البقرة: ١٥٦]، ا"للهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها "، قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ..."[2] . وقال سعيد بن جبير: "ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطي هذه الأمة، يعني: الاسترجاع، ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام، ألا تسمع إلى قوله تعالى في قصة يوسف ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[يوسف:٨٤]"[3] .

خامسا- وكما أن الله نهى أولياءه عن الحزن ليصون قلوبهم مما يضعفها ويدخل عليها الهم فقد **جعل الحزن عقوبة لأعدائه**، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ،باب التلبينة (٧٥،٧) ، ومسلم ،كتاب السلام ،باب الطب والمرضى والرقى ، باب التلبينة مجمة لفؤاد المريض (١٧٣٦،٤) .

(٢) رواه مسلم،كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة (٢/ ٦٣١) .

(٣) تفسير البغوي (١٧٧،١) .

﴿إِذَاضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٦] عن مجاهد قال: "يحزنهم قولهم ولا ينفعهم شيئًا"[١].

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤] عن ابن عباس، قال: الشقاء[٢]. وقال ابن كثير رحمه الله : " أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله"[٣]. وقال ابن القيّم–:"من أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله تعالى، وتعلّق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبّة سواه، فإنّ ن أحبّ شيئا غير الله عذّب به، وسجن قلبه في محبّة ذلك الغير، فما في الأرض أشقى منه. ولا أكسف بالًا، ولا أنكد عيشًا، ولا أتعب قلبًا. ومحبّة غير الله سبحانه هي عذاب الروح، وغمّ النفس، وسجن القلب، وضيق الصدر، وهي سبب الألم والنكد والعناء"[٤].

سادسا– بين الحق سبحانه وتعالى أن إحزان المؤمن من مقاصد الشيطان ومكائده، فلا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة:١٠] ، فالحزن مرض من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره، ويوهن العزم، ويضر الإرادة، والثواب عليه ثواب المصائب التي يبتلى العبد بها بغير اختياره، كالمرض والألم ونحوهما، وأما أن يكون عبادة مأموراً بتحصيلها وطلبها فلا[٥]. قال شيخ الإسلام: "وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه فيكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن "[٦].

---

(١) فتح القدير (٤٥٣/١).
(٢) تفسير الطبري (٣٩٠،١٨)
(٣) تفسير ابن كثير (٣٢٢،٥)
(٤) زاد المعاد (٢٤،٢)
(٥) طريق الهجرتين (٢٨٠/١) .
(٦) مجموع الفتاوى (١٧/١٠) .

ولذلك كان من نعيم المؤمنين في الجنة زوال الحزن عنهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤] وإن كان البعض قد فسر الحزن هنا بنوع معين، كما "قال ابن عباس: الخوف من النار، وعن قتادة: حزن الموت، وقال مجاهد: هم الخبز"[(١)] إلا أنه لم يخصص إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعا دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك؛ لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن[(٢)] .

---

(١) تفسير السمعاني (٤/٣٦٠) ، تفسير البغوي (٣/٦٦٩) ،تفسير ابن كثير (٦/١٢٢) .

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/٤٧٣) .

المبحث الأول : الحزن المتعلق بالأقدار الشرعية، وضوابطه.

المطلب الأول: الحزن على فوات الطاعة ، وضوابطه :

أقسم الله في كتابه بالنفس اللوامة،:﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢]، وهي التي تلوم صاحبها -في أحد أقوال المفسرين- فقد روى الطبري عن مجاهد، قال: "تندم على ما فات وتلوم عليه"[١] ، وقال الفراء: "ليس من نفس برة، ولا فاجرة، إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيرًا قالت: هلا ازددت. وإن كانت عملت سوءا، قالت: ليتني لم أفعل. وهذا قول عطاء، عن ابن عباس"[٢] .

وقد ذكر الله ﷻ في سورة التوبة حال الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر شرعي معتبر بأبلغ وصف يمكن به بيان حال المستاء الحزين على فوات الطاعة، فقال: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ **[التوبة:١١٨]** ، قال الحسن: "يا سبحان الله! والله ما أكلوا مالًا حرامًا، ولا أصابوا دمًا حرامًا، ولا أفسدوا في الأرض، غير أنهم قد أبطئوا في تلك الغزاة عن رسول الله ﷺ فبلغ منهم ما تسمعون"[٣] .

وقال ﷻ في شأن الذين استحملوا ﷺ وكانوا أهل حاجة فقال: "لا أجد ما أحملكم عليه" فتولوا يبكون وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون، وسموا "البكاؤون" :﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾**[التوبة:٩٢]**، فلم يُمدحوا على نفس الحزن، وإنما مُدحوا على ما دل عليه الحزن من قوة إيمانهم، وفيه تعريض بالمنافقين الذين لم يحزنوا على تخلفهم، بل غبطوا نفوسهم به[٤] ، قال ابن القيم : "ولكن

---

(١) تفسير الطبري (٤٩/٢٤) .

(٢) تفسير الواحدي (٣٩٠/٤) .

(٣) تفسير بن أبي حاتم (١٩٠٤/٦) .

(٤) انظر: مدارج السالكين (٥٠١/١) .

يحمد في الحزن سببه، ومصدره، ولازمه، لا ذاته، فإن المؤمن إما أن يحزن على تفريطه وتقصيره في خدمة ربه وعبوديته، وأما أن يحزن على تورّطه في مخالفته ومعصيته، وضياع أيامه وأوقاته، وهذا يدل على صحة الإيمان في قلبه، وعلى حياته، حيث شغل قلبه بمثل هذا الألم فحزن عليه، ولو كان قلبه ميتاً لم يحس بذلك، ولم يحزن ولم يتألم، فما لجرح بميت إيلام، وكلما كان قلبه أشد حياة كان شعوره بهذا الألم أقوى، ولكن الحزن لا يجدى عليه، فإنه يضعفه"[(١)] .

وضابط هذا الحزن ألا يفضي إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، فإنه منهي عنه، وهو من مصائد الشيطان، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ **[الحجر:٥٦]**

بل يعد القنوط كبيرة من كبائر الذنوب، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله"[(٢)] . قال الشوكاني : "القنوط: الإياس من رحمة الله"[(٣)] . أما اليأس فهو: انقطاع الطمع من الشيء[(٤)] ، فمعناهما واحد؛ إلا أن القنوط أشد من اليأس ، قال ابن عطية : "القنوط :أشد اليأس وأتمه"[(٥)] . والقنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلاَّ عند الجهل بأمور:

أحدها: أن يجهل كونه تعالى قادراً عليه.

وثانيها: أن يجهل كونه تعالى عالماً باحتياج ذلك العبد إليه.

وثالثها: أن يجهل كونه تعالى، منزّهاً عن البخل، والحاجة.[(٦)]

---

(١)طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٧٩) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وعبدالرزاق في مصنفه، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد(١٠٤/١) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٥١) .

(٣) فتح القدير (٤/٢٦٠)، وانظر: اللباب في علوم الكتاب (١١،٤٧١).

(٤) معجم الفروق اللغوية (١،٤٦٣)، وانظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (١،٦٣٣) .

(٥) المحرر الوجيز (٣،٣٦٦) وانظر : معاني القرآن للنحاس (٦،٣١٤) .

(٦) اللباب في علوم الكتاب (١١/٤٧١) .

المطلب الثاني: الحزن على فعل المعصية، وضوابطه :

الأصل في المؤمن أن يُسر بالحسنة، ويُساء بالسيئة، كما قال النبيﷺ :"من سرَّتهُ حسنتهُ و ساءته سيئتهُ فهو مؤمن"[1] ، فجعل الاستياء والحزن على فعل السيئة من الإيمان، ولذا كان الندم على مقارفة الذنب من شروط قبول التوبة، فعن عبد الله بن معقل، قال: كان أبي عند ابن مسعود، فسمعه يقول: سمعت رسول الله ﷺ : «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»[2] ، حتى قال بعض أهل العلم: " يكفي في التوبة تحقق الندم، فإنه يستلزم الإقلاع عن الذنوب، والعزم على عدم العَوْد، فهما ناشئان عن الندم لا أصلان معه"[3] .

والندم هو الأسف، والأسف: المبالغة في الحزن[4] . وقد عد ابن تيمية الحزن على المصيبة في الدين من الحزن الذي يُثاب صاحبه على سببه وباعثه، فقال : "وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه؛ فيكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن؛ كالحزين على مصيبة في دينه"[5] .

و قال ابن القيم : "والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبدا، ولا يكمل بها فرحه، بل لا يباشرها إلا والحزن مخالط لقلبه، ولكن سكر الشهوة يحجبه عن الشعور به، ومتى خلى قلبه من هذا الحزن، واشتدت غبطته وسروره فليتهم إيمانه، وليبكِ على موت قلبه، فإنه لو كان حيا لأحزنه ارتكابه للذنب، وغاظه وصعب عليه"[6] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن عائشة –ﷺ– (٤٤٧/٤١) ، والترمذي في سننه باب ماجاء في لزوم الجماعة (٤٦٥/٤) ، و صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢١٦٥) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١١٦/٧) ، وابن ماجه في السنن، باب ذكر التوبة (١٤٢٠،٢) ، وصححه الألباني انظر : صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٢٥٢،٩)

(٣) فتح الباري (٤٧١/١٣)، وانظر: مرقاة المفاتيح (١٦٣٧/٤).

(٤) لسان العرب (٥٧٢/١٢) ، (٥/٩)

(٥) مجموع الفتاوى (١٧/١٠) .

(٦) مدارج السالكين (١٩٨/١)، وانظر: إحياء علوم الدين (٢٧٦/٢) .

وضابط هذا الحزن ألا يشغله عن الطاعة، ولا ينقله للقنوط واليأس من رحمة الله . قال ابن القيم: " وهذا يدل على صحة الإيمان في قلبه حيث شغل قلبه بمثل هذا الألم فحزن، ولكن الحزن لا يجدي عليه بل الذي ينفعه أن يستقبل السير ويجد ويشمر"[١] .

المطلب الثالث: الحزن البدعي:

تقدم أن الحزن مرض أو عرض يعرض للنفس، ليس مطلوبًا ولا ممدوحًا لذاته شرعًا؛ إلا أنه قد أدخل بعض أهل البدع الحزن في الدين واتخذوه عبادة وخصصوا له أزمانًا، وتكلفوا إظهاره على هيئاتهم ظنًا منهم أنه حال محمودة، واغتر بذلك بعض النساك، وكل ذلك بدعة وضلالة ليس لها أصل ولا نص صحيح يستند عليه . ومن الابتداع في باب الحزن مايلي:

أولًا: تعبد الله بالحزن الطويل الدائم : وقد عدّ بعض المتصوفة، وغيرهم من الجهلة الحزن الدائم وعدم الضحك من علامات الخشية والتقوى، وعده الهروي من منازل السائرين[٢] ، ويستدلون بآثار مروية منها:

[١] ما رواه ابن أبي حاتم في صفة النبي ﷺ : " أنه كان كثير الصمت، دائم الفكر، متواصل الأحزان"[٣]، وقد رد العلماء هذه الرواية سندًا[٤]، ومتنًا، قال ابن القيم في رد متنه : "وكيف يكون متواصل الأحزان، وقد صانه الله عن الحزن على الدنيا وأسبابها، ونهاه عن الحزن على الكفار، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فمن أين يأتيه الحزن؟"[٥]. وفي توجيه للمتن يقول ابن تيمية: "وأما الحزن الحزن فليس المراد به الحزن الذي هو الألم على فوت مطلوب، أو حصول مكروه، فإن ذلك منهي عنه

---

(١) طريق الهجرتين (٢٩٧) .

(٢) مدارج السالكين(٥٠٠/١) .

(٣) ذكره الطبراني في المعجم الكبير(١٥٥،٢٢)، والبيهقي في شعب الإيمان(٢٤،٣)، وابن أبي الدنيا في الهم والحزن (٢٧) .

(٤) وممن ضعفه: ابن القيم في المدارج (٥٠٢،١) والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٦،٨) ، والألباني في مختصر الشمائل (٢٠). .(٢٠)

(٥) مدارج السالكين (٥٠٢/١) .

ولم يكن من حاله، وإنما أراد به الاهتمام والتيقظ لما يستقبله من الأمور، وهذا مشترك بين القلب والعين"[١]

[٢] ويستدلون أيضا بما يروى عن النبي ﷺ: " «إن الله يحب كل قلب حزين»[٢] ، رواه أبوبكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب، عن أبي الدرداء. وأبوبكر ضعيف ذكره ابن عدي في الكامل للضعفاء..[٣] وقال الذهبي: منقطع . وقال ابن القيم: "فلا يعرف إسناده، ولا من رواه، ولا تعلم صحته"[٤] . وأخرجه البزار عن ضمرة بن حبيب، عن أبي الدرداء ﷺ وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد[٥] .

وعلى تقدير صحته فالحزن مصيبة من المصائب، التي يبتلي الله بها عبده، فإذا ابتلى به العبد فصبر عليه، أحب صبره على بلائه[٦] . وقال المناوي: "قلب حزين" أي: "لين كثير العطف والرحمة أي أي منكسر من خشية الله تعالى ومهتم بأمر دينه خائف من تقصيره"[٧].

ومثله ما قال عبد الله بن مسعود ﷺ: " ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، ...وبحزنه إذا الناس يفرحون،...وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حليمًا سكينًا"[٨] ، وروي عن إبراهيم التيمي، أنه قال: "من كان آمنًا ولا يكون محزونًا خائفًا يُخاف أن لا يكون من أهل الجنة

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢١،١٦) .

(٢) رواه السيوطي في الجامع الصغير (٣٦٤٦،١) و ابن أبي الدنيا في كتابه "الهم والحزن " ص: ٢٨.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال (٢١٠/٢).

(٤) مدارج السالكين (٥٠٢/١)

(٥) البحر الزخار (٨٣/١٠)، قال الألباني: "ورده الذهبي بقوله: "قلت: مع ضعف أبي بكر، منقطع" ، يعني بالانقطاع ما بين ضمرة وأبي الدرداء فإن بين وفاتيهما نحو مئة سنة" . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٦٩٥/١)، وانظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٢٤٨،١).

(٦) مدارج السالكين (٥٠٢/١) .

(٧) فيض القدير(٢٩٥/٢)

(٨) الزهد لأحمد بن حنبل (١٣٣،١)

لأن أهل الجنة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦]"[(١)] ، وعن ابن الأوزاعي، قال: "سئل أبي عن الخشوع ؟ فقال : الحزن"[٢] . وعن أبي سعيد البصري قال : "المحزون خائف، ومن خاف خاف اتقى، ومن اتقى حذر، ومن حذر حاسب نفسه"[٣] .

فالحزن هنا ليس المقصود به الهم في الدنيا، والانطواء، والتشاؤم، وملازمة الكآبة، فهذا ليس بحزن محمود كما سبق، وهو الذي استعاذ منه النبي ﷺ، ولم يقصده من أثنى على الحزن من السلف،. وإنما أرادوا : الخشوع، والخوف من الله سبحانه، والتقوى.

وثمة ملحظ آخر أيضا ينبغي مراعاته عند قراءة هذه الآثار، وهي طبيعة النفس التي صدر عنها ذلك الكلام، فإذا كانت نفسه جبلت على الحزن والتباعد عن الفرح، فمثله لا يستدل بحاله ولا مقاله على التأصيل الشرعي، فالحسن البصري مثلا قال عنه يونس : "كان رجلا محزونا"[(٤)] . فلا تؤخذ أقواله في التحزين على أنها تأسيس شرعي لمقام الحزن في السلوك إلى الله سبحانه، بل تؤخذ على أنها تعبير عما يجده في قلبه ونفسه، وما يجده لا ينبغي أن يعمم ، ويستدل به على أن هذا هو حال السلف بإطلاق .

وبهذا يتبين أن من تعبد الله بدوام الحزن فقد خالف هدي المصطفى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهو أتقى العالمين وأخشاهم لله – كان يضحك ويبستم ، وقد روى عن عبد الله بن الحارث أنه قال:" ما رأيت أحدا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ [(٥)] "[(٦)] .

وكان عليه الصلاة والسلام دائم البشر، ضحوك السن، كما في صفته" الضحوك القتال "[(١)] ، ولا يليق بمن عرف الله أن يغلب على حاله الحزن وأن يكون سمةً له . بل إن أولياء الله تنشرح صدورهم

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين (ص: ٥٦٢)

٢ رواه ابن أبي الدنيا في " الهم والحزن " (ص ٥٠).

٣ المرجع السابق (ص ٦٢).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد(١٩٩/٧).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٥،٢٩)، والترمذي في سننه ،أبواب المناقب ،باب في بشاشة النبي ﷺ (٦٠١،٥) ،وصححه ،وصححه الألباني. انظر : مختصر الشمائل (١٢٠) ،و تخريج مشكاة المصابيح (١٣٤٢،٣)

(٦) دراسات في التصوف (ص: ٥٧).

بمعرفته، ويملأ قلوبهم الرضا بقضائه . كما قال ابن مسعود ﷺ: " إن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم و الحزن في الشك والسخط "[2] .

وقد نهى النبي ﷺ أبا بكر ﷺ عن الحزن مع أن حزنه كان لخوفه على رسول الله، قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠]، قال ابن تيمية:" وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه رسول الله ﷺ عن الحزن"[3] .

وكان هذا دأب الصالحين، والعلماء الربانيين، قال ابن القيم فيما يحكيه عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله: "وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة"[4] .

ومما يدخل في الحزن البدعي إظهار التخشع والتماوت ظنا من بعض الجهال أنه من التعبد لله والتنسك له، وقد بدأت هذه البدعة في آواخر عهد الصحابة فأنكروا على من يفعله، ومن ذلك ما روى الزهري عن عبيدالله بن عبدالله قال: " لم يكن البِر يعرف في عمر ولا ابنه حتى يقولا أو يفعلا"[5] .

---

(١) قال السيوطي : وَأخرج ابْن فَارس عَن ابْن عَبَّاس أن النَّبِي ﷺقَالَ : " اسمي فِي التَّوْرَاة احْمَد الضحوك الْقِتَال يركب الْبَعِير ويلبس الشملة ويجتزي بالكسرة سَيْفه على عَاتِقه" .الخصائص الكبرى (١/١٣٣) ، و ذكره ابن كثير في الفصول في السيرة (٢٦٥) ، قال ابن القيم في زاد المعاد (١/٩٣) : وأما الضحوك القتال، فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر، فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين غير عابس ولا مقطب ولا غضوب ولا فظ، قتال لأعداء الله لا تأخذه فيهم لومة لائم.

(٢)رواه هناد السري في " الزهد " (١ / ٣٠٤) والبيهقي في " شعب الإيمان " (١ / ٢٢١) ، وانظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٥٨٠)

(٣) منهاج السنة(٨،٤٦٦)، طريق الهجرتين (١/٢٨٠) .

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب (١،٤٨).

(٥) حقيقة السنة والبدعة (١٥١)

ورأت الشفاء بنت عبد الله -رضي الله عنها- فتيانًا يقصدون في المشي، ويتعلمون رويدًا، فقالت: وما هذا؟ فقالوا: نساك ، فقالت :"كان والله عمر رضى الله عنه إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وهو الناسك حقًا"[(١)].

وفي كتاب "مناقب الامام احمد" عن إبراهيم البوشنجي قال: "ما رأيت أحدا في عصر أحمد أجمع منه ديانة وصيانة وأبعد من التماوت"[(٢)]، وقال أبو مُحَمَّد عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي: "سمعت أبي يقول: "كان أحمد بن حنبل إذا رأيته تعلم أنه لا يظهر النسك رأيت عليه نعلًا لا تشبه نعل القراء، وله رأس كبير معقف وشراكة مسبل، كأنه اشترى له من السوق، ورأيت عليه إزارًا وجبة بر مخططة من أثمار جوز". قال عبد الرحمن: أراد بهذا والله أعلم ترك التزي بزي القراء وإزالته عن نفسه"[(٣)].

وقال ابن القيم: " وأما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعا ومراءاة ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات فهو يخشع في الظاهر وحية الوادي وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة"[(٤)].

ولم يكن التماوت من فعل النبي ﷺ ولا من أفعال السلف . ففي أحاديث صفة النبي ﷺ وشمائله أنه "كان إذا مشى ﷺ كأنما يمشي في صبب"[(٥)]، والمعنى: يمشي مشيًا قويًا سريعًا[(٦)].

وروى البيهقي عن ابن المبارك: "إنه ليعجبني من القراء كل طَلقٍ مِضحاكٍ، فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمنّ عليك بسلامه أو بعلمه، فلا أكثر الله في القراء مثله"[٧].

---

(١) المرجع السابق (١٥١)

(٢) مناقب الإمام أحمد (٢٩٤)

(٣) مناقب الإمام أحمد (٢٩٤)

(٤) الروح (٢٣٣)

(٥) رواه أحمد في المسند (٣٤٤،٢) ، الترمذي في السنن، أبواب المناقب (٥٩٩،٥)، وقال الألباني : "صحيح لغيره " انظر : التعليقات الحسان (١١٦،٩).

(٦) مرقاة المفاتيح (٣٧٠٤،٩).

٧ شعب الإيمان (١٠/٤٠٨) .

وهذه الطلاقة التي أشار إليها هي التي كانت تعرف من أخلاق رسول الله ﷺ وكانت هي الغالبة على أصحابه، وسادات المتقدمين من الأئمة الجامعين بين العلم والعمل: كسعيد بن المسيب إمام أهل المدينة وسيد التابعين في وقته مع حسومته المعروفة في أمر الله تعالى، وكعامر الشعبي من أئمة الكوفة، وابن سيرين من أئمة البصرة، والأوزاعي من أئمة الشام، والليث ابن سعد من أئمة مصر، وغيرهم ﷺ. فقد عرف ذلك من وقف على أخبارهم، وهي طريقة الإمام الشافعي رحمه الله[1].

وقال السيوطي في الجمع بين إظهار السمت وذم إظهار التماوت: " ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام، فإن ذلك يؤذيهم، فقد قال علي بن أبي طالب ﷺ: إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب، ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم إذا انفسح للمباح؛ فينبغي أن يلقاهم بالصمت والأدب. وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكي وطأطأة الرأس ليرى بعين الزهد. وربما قيل له: " ادع لنا " فتهيأ للدعاء وكأنه مستنزل الإجابة""[2] ..

ثانيا: استجلاب الحزن والوجد بمجالس السماع .

والوجد مصدر بمعنى: الحزن[3]، ومراد هذه الطائفة من الوجد: إثبات حالة تظهر في السماع[4] السماع[4] –البدعي– مقرونة بالحزن[5].

وقد جعل المتصوفة من مجالس السماع طقساً تعبدياً روحانياً ألحقوه بالذكر، قال الإمام مالك في المدونة :" وأكره الإجارة على تعليم الشعر والنوح، وعلى كتابة ذلك"[6]، وقال عياض: "معناه نوح نوح المتصوفة وإنشادهم على طريق النوح والبكاء، فمن اعتقد في ذلك أنه قربة لله – تعالى – فهو ضال مضل"[7]. قال ابن تيمية في وصف هذه البدعة : " فإن أصل سماع القصائد كان تلحينا

---

(١) حقيقة السنة والبدعة (١٥٦) .

(٢) حقيقه السنة والبدعة للسيوطي (ص: ١٥٦) .

(٣) لسان العرب (٣/٤٤٦) .

(٤) عرفه الكلاباذي: "استجمام من تعب الوقت، وتنفس لأرباب الأحوال، واستحضار الأسرار لذوي الأشغال" كشف المحجوب (٦٦١).

(٥) التعرف على مذهب أهل التصوف (٣٤٠)

(٦) المدونة (٣/٤٣١) .

(٧) التنبيهات المستنبطة (١٤٨٧) .

بإنشاد قصائد مرققة للقلوب تحرك المحبة والشوق، أو الخوف والخشية، أو الحزن والأسف، وغير ذلك،.. وربما ضموا إليه آلة تقوي الصوت وهو الضرب بالقضيب على جلد مخدة أو غيرها وهو التغبير[١] ومن المعلوم أن استماع الأصوات يوجب حركة النفس ... وللأصوات طبائع متنوعة تتنوع آثارها في النفس وكذلك للكلام المسموع نظمه ونثره فيجمعون بين الصوت المناسب والحروف المناسبة لهم وهذا الأمر يفعله بنو آدم من أهل الديانات البدعية كالنصارى والصابئة وغير أهل الديانات ممن يحرك بذلك حبه وشوقه ووجده أو حزنه وأسفه أو حميته وغضبه أو غير ذلك . فخلف بعد أولئك من صار يجمع عليه أخلاطا من الناس ويرون اجتماعهم لذلك شبكة تصطاد النفوس بزعمهم إلى التوبة والوصول في طريق أهل الارادة"[٢] .

وقد صح من حديث العرباض بن سارية ﷺ؛ قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة؛ ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب». . . الحديث[٣] . قال الإمام الآجري—: " ميزوا هذا الكلام؛ فإنه لم يقل: صرخنا من موعظة، ولا زعقنا، ولا طرقنا على رؤوسنا، ولا ضربنا على صدورنا، ولا زفنا، ولا رقصنا ؛ كما يفعل كثير من الجهال؛ يصرخون عند المواعظ ويزعقون ويتغاشون وهذا كله من الشيطان يلعب بهم، وهذا كله بدعة وضلالة، ويقال لمن فعل هذا: اعلم أن النبي ﷺ أصدق الناس موعظة، وأنصح الناس لأمته، وأرق الناس قلبا، وخير الناس من جاء بعده . لا يشك في ذلك عاقل؛ ما صرخوا عند موعظته، ولا زعقوا ولا رقصوا ولا زفنوا، ولو كان هذا صحيحا؛ لكانوا أحق الناس بهذا أن يفعلوه بين يدي رسول الله ﷺ، ولكنه بدعة وباطل ومنكر، فاعلم ذلك "[٤] .

وذكر مثل ذلك ابن بطة رحمه الله في "الإبانة" وبين مخالفته لهدي السلف، وأنكره[٥] .

---

(١)التغبير ضرب بقضيب على جلدٍ أو مخدَّة، يخرج له صوت، وينشدون معه أشعارًا مرقِّقة مزهِّدة. مسألة السماع لابن القيم(٢٩) .

(٢) الاستقامة (٣٠٥/١) .

(٣) رواه ابن ماجه في سننه ، باب اتباع سنة الخلفاء (١٥،١) ، والطبراني في المعجم الكبير (٨٥،٣) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٧).

(٤) الأربعون حديثًا (٣٣٣،٢)، الاعتصام (٣٧٨/١).

(٥) الإبانة الكبرى (١٩٥،٧).

وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن التغبير؟ فقال: "بدعة، إذا رأيت إنساناً منهم في طريقٍ فخذْ في طريق أخرى"[(١)] .

ولما نقل شيخ الإسلام قول الشافعي: "خلفتُ ببغداد شيئًا أحدثْه الزنادقة يُسمونَه التغبيرَ يَصُدُّون به الناس عن القرآن". قال: "فعنده أن هذا السماع أعظم من ان يقال فيه مكروه أو حرام بل هو عنده مضاد للإيمان وشرع دين لم يأذن الله به ولم ينزل به سلطان".[(٢)]

ثالثا: بدعة الحزن في عاشوراء : ومما ابتدع في باب الحزن أيضا اتخاذ العشر الأولى من محرم كل عام مأتماً يقام فيه العزاء على وفاة الحسين ﷺ التي توافق يوم عاشوراء . وهذا من الضلالات التي أدخلها الرافضة والباطنية في الدين وقد حكى ابن كثير عن ذلك حين حكم البويهيون الرافضة فقال: "وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها، فكانت الدبادب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذ موافقة للحسين، لأنه قتل عطشان، ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن، حافيات في الأسواق، إلى غير ذلك من البدع الشنيعة، والأهواء الفظيعة، والهتائك المخترعة، وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية ؛ لأنه قتل في أيامهم"[(٣)] .

ومن مظاهر الحزن التي يظهرونها: لبس السواد ، اللطم ، التطبير [(٤)] ،و الاستماع لقصائد الحزن والمأساة التي تحكي قصة مقتل الحسين . ومما يروونه في كتبهم ما رواه الطوسي منسوباً إلى جعفر الصادق أنه قال: " ... وقد شققن الجيوب وَ لَطَمْنَ الخدود الفاطميات على الحسين بن علي (عليه السَّلام) و على مثله تُلْطَمُ الخدود و تشق الجيوب "[(٥)]

---

(١) الكلام على مسألة السماع (٣٢) .

٢ الاستقامة (١/ ٢٧٩) .

(٣) البداية والنهاية ، (٥٧٧/١١) .

(٤) التطبير نوع من مراسم العزاء يتم خلاله ضرب الرؤوس بالسيوف وإدماؤها. معجم ألفاظ الفقه الجعفري(١١٤).

(٥) تهذيب الأحكام للطوسي (٣٢٥/٨).

وهذه البدع والجهالات فضلا عن كونها مخالفة صريحة لعموم ما ورد عن النبي ﷺ من النهي عن لطم الخدود وشق الجيوب[(١)] ، فهو مخالف أيضا لخصوص ما ورد عن رسول الله ﷺ من كون يوم عاشوراء يوم شكر، وما ورد من استحباب صيامه[(٢)] .

وقال ابن رجب رحمه الله:" ... وأما اتخاذه مأتماً كما تفعل الرافضة لأجل قتل الحسين بن علي فيه، فهو من عمل من ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً فكيف بمن هو دونهم؟"[(٣)].

و قال الهيتمي: "فمن ذكر ذلك اليوم مصابه –أي: الحسين رضي الله عنه– لم ينبغ أن يشتغل إلا بالاسترجاع امتثالًا للأمر وإحرازًا لما رتبه تعالى عليه بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٧] ولا يشتغل ذلك اليوم إلا بذلك ونحوه من عظائم الطاعات كالصوم وإياه ثم إياه أن يشغله ببدع الرافضة من الندب والنياحة والحزن إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين وإلا لكان يوم وفاته ﷺ أولى بذلك وأحرى.[(٤)]

رابعا: بدعة الحزن على وداع رمضان: ومما استحدث من البدع فيما يتعلق بالحزن، ما يسمى: "توحيش رمضان"، والتوحيش هو: قول الخطباء على المنابر في آخر جمعة من رمضان: "لا أوحش الله منك يا شهر رمضان، لا أوحش الله منك يا شهر القرآن، يا شهر المصابيح، يا شهر التراويح، يا شهر المفاتيح"[(٥)] . وهذه بدعة لم يفعلها أحد من السلف ولم يرد عنهم توديع رمضان بهذه بهذه البدع، لا سيما والناس بحاجة إلى آداب يتعلمونها لما يستقبلهم من صدقة الفطر ومواساة الفقراء وغير ذلك مما يقتضيه المقام[(٦)] .

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه ، باب ما ينهى من الويل ودعوى الجاهلية عند المصيبة ،حديث :١٢٩٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب باب قول الله تعالى: {وهل أتاك حديث موسى} [طه: ٩] .

(٣) لطائف المعارف (٥٤)

(٤) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٥٣٥،٢)

(٥) السنن والمبتدعات (٥٠، ١٦١)، معجم البدع (٢٦٩،١) ، بدع القراء (٤٢).

(٦) انظر: إصلاح المساجد من البدع والعوائد (١٤٦)

*وكذلك من مظاهر الابتداع في الحزن على رمضان: "نشيد وداع رمضان"، وقد وصفه صاحب كتاب "إصلاح المساجد" بقوله: "هذه العادة المستهجنة جارية في أغلب المساجد، ذلك أنه إذا بقي من رمضان خمس ليال أو ثلاث يجتمع المؤذنون والمتطوعون من أصحابهم، فإذا فرغ الإمام من سلام وتر رمضان ..أخذوا يتناوبون مقاطيع منظومة في التأسف على انسلاخ رمضان ..باذلين قصارى جهدهم في الصيحة والصراخ بضجيج يصم الآذان ويسمع الصم. ..ولعلم الناس بأن مثل تلك الليالي هي ليالي الوداع ترى في أطراف المساجد وعلى سدده وأبوابه وداخل صحنه النساء والرجال والشبان والولدان، بحالة تقشعر لقبحها الأبدان؛ وقد اشتملت هذه البدعة على عدة منكرات، منها: رفع الأصوات بالمسجد وهو مكروه كراهة شديدة. ومنها: التغني والتطرب في بيوت لم تشيد إلا للذكر والعبادة. ومنها: كون هذه العادة مجلبة للنساء والأولاد والرعاع الذين لا يحضرون إلا بعد انقضاء الصلاة للتفرج والسماع. .. إلى غير ذلك مما لو رآه السلف لضربوا على أيدي مبتدعيه، وقاوموا بكل قواهم من أحدث فيه ".(١)

* ومن الحزن البدعي أيضا تبادل التعازي لأجل وداع شهر رمضان، وفراقه . وهذه البدع مع كونها لا أصل لها فإنها مناقضة للنصوص . إذ أن الله شرع لنا التكبير بعد الفراغ من عبادة الصيام ، ولم يشرع الحزن ولا التعزية . قال الله تعالى﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة:١٨٥]، والأصل أن يوم العيد هو يوم فرح وسرور، يتعبد الله فيه بإظهار الفرح بإكمال العدة واستيفاء الشهر، فإن هذا من أظهر شعائر الدين(٢) . وقد أذن النبي عليه وسلم: ﷺ لجاريتين أن تغنيان بالدف، وقال: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَإِنَّ عِيدَنَا هَذَا الْيَوْمُ»(٣) . وإظهار الحزن في نهاية رمضان يعارض قول النبي ﷺ: "للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ"(٤) . أي للصائم مرتان من الفرح عظيمتان:إحداهما في الدنيا فرحة عند

---

(١) المرجع السابق .

(٢) معرفة السنن والآثار (٢٩/٣).

(٣) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الصوم ،باب : "هل يقول إني صائم إذا شُتم" (٢٦،٣) ، ومسلم ،كتاب الصيام، باب فضل الصيام (٨٠٧،٢) .

فطرة أي إفطاره بالخروج عن عهدة المأمور أو بوجدان التوفيق لإتمام الصوم أو بالأكل والشرب بعد الجوع والعطش أو بما يرجو من حصول الثواب، والأخرى فرحة عند لقاء ربه أي بنيل الجزاء أو حصول الثناء أو الفوز باللقاء.[(١)]

أما ما ينقل عن بعض السلف أنه يظهر عليه الحزن في نهاية رمضان، أو يوم العيد كالذي يروى عن علي رضي الله عنه أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه ومن هذا المحروم فنعزيه، وعن ابن مسعود مثله[(٢)]، فقد وجه ذلك ابن رجب في تفسيره فقال: "ورد عن بعض السلف أنه يظهر عليه الحزن يوم عيد الفطر، فيقال له: إنه يوم فرح وسرور، فيقول: "صدقتم، ولكني عبد أمرني مولاي أن أعمل له عملًا، فلا أدري أيقبله مني أم لا؟"[(٣)].

وهذا لخوفه من عدم القبول، وخشيته من أن يكون عمله في رمضان مردودًا، وهذا لا يدل على التعبد لله بذلك، وهو ندم المقصر فيكون من قبيل الحزن على فوات الطاعة، والخشية من عدم القبول، وهو باعث محمود كما تقدم، وضابطه ألا يظهر على الجوارح فيستبدل شعيرة الفرح بالعيد بإظهار الحزن. وسبق بيان أن العبرة بمثل هذه النقول عن بعض السلف فيما وافق النصوص .

ومما سبق يتبين أن الحزن المتعلق بالأوامر الشرعية إن كان لفوات طاعة أو فعل معصية فيؤجر الإنسان على الباعث لا على نفس الحزن، بشرط أن لا ينقله إلى القنوط من رحمة الله، ولا اليأس من روح الله .

ومن تعبد الله بطول الحزن فهو مبتدع، وكذا من استجلب الحزن بالسماع المحرم، ومن جعل يوم عاشوراء، أو آخر رمضان أيامًا للحزن، فهو مبتدع وليس على طريق سنة .

---

(١) انظر :مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٤٩).

(٢) لطائف المعارف (٢١٠).

(٣) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢،٢٩) .

المبحث الثاني: الحزن على الأقدار المتعلقة بالإرادة الكونية، وضوابطه.

جعل الله الدنيا دار كدر، وابتلاء، فلا انفكاك للناس فيها من مصائب وأحزان، ومصداق ذلك في كتاب الله قال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥] .عن ابن عباس قال: "أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء وأنه مبتليهم فيها". [١] وهذا الحزن له بواعث مختلفة و أحوال متفاوتة، وبيانه في المطالب التالية:

المطلب الأول: الحزن على المصائب الخاصة. وضوابطه .

وذلك كفقد حبيب، أو إصابة بمرض، أو ضيق عيش، وهذا حزن جبلي، لا يؤاخذ عليه العبد؛ إن لم يتجاوز فيه. ويُحمد ويثاب عليه إن صبر واحتسب واسترجع، قال ﷺ: " إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ "[٢] ، وفي رواية: "فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ"[٣] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ -حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا- إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ "[٤] .

ومحل الثواب على الحزن هنا كونه بلية أصيب بها المؤمن، لذا قال : "كفر بها من خطاياه"، ثم إذا صبر المؤمن على مصيبة الحزن واحتسب نال الأجر من الله. قال ابن القيم: "وفرقٌ بين ما يثاب عليه العبد من المأمورات، وما يثاب عليه من البليات"[٥] .

ويكون الحزن مذموماً ومنهياً عنه إذا كان مصحوباً بما يدل على الجزع والتسخط على القضاء ومن ذلك:

---

(١) شعب الإيمان ، باب في الصبر على المصائب (١٢،١٧٧) . تفسير الراغب الأصفهاني (٣٥٠/١) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ، عن أنس بن مالك ﷺ ،باب الصبر على البلاء (١٣٣٢،٢)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، عن أنس بن مالك ﷺ ،باب ماجاء في الصبر على البلاء (٦٠١،٤)

(٤)رواه البخاري، كتاب المرضى، باب: ماجاء في كفارة المرض(١١٤/٧) .

(٥)طريق الهجرتين(٢٩٧) .

* **اللطم ، وشق الجيب** . وقد قال ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».[(١)] قال ابن حجر: "وكأن السبب في ذلك ما تضمنه ذلك من عدم الرضا بالقضاء"[(٢)]

و**خمش الوجه** لقوله ﷺ: " نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ: صَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ، خَمْشِ وُجُوهٍ، وَشَقِّ جُيُوبٍ... ".[(٣)] ، وقد يدخل فيه **التصفيق باليد** لأنه من عمل الجوارح، **و**لما روى أبو داوود في المراسيل عن يحيى بن جابر، أن رجلا قال: يا رسول الله ما يحبط الأجر من المصيبة؟ قال: «أَنْ يُصَفِّقَ الرَّجُلُ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ» وصفق النبي ﷺ بيمينه على شماله.[(٤)]

وكذا الضرب على الفخذ: فعن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ ، أنه قال: «الضَّرْبُ عَلَى الْفَخِذِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ يُحْبِطُ الْأَجْرَ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى يُعَظِّمُ الْأَجْرَ، وَعِظَمُ الْأَجْرِ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ، وَمَنِ اسْتَرْجَعَ بَعْدَ الْمُصِيبَةِ جَدَّدَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَهَا كَيَوْمِ أُصِيبَ بِهَا».[(٥)]

فكل هذه الأفعال إذا اقترنت بالحزن فإنها تخرجه من الحزن المباح إلى الحزن المنهي عنه؛ لأنها من أفعال الجوارح ويفعلها الإنسان بإرادته، وأما سوى ذلك -كدمع العين، وحزن القلب- فلا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرم[(٦)] .

***النياحة، والندب، وبعض المراثي** : جاء في "لسان العرب": والمناحة والنوح: النساء يجتمعن للحزن[(٧)] والنوح أصله التناوح وهو التقابل، ثم استعمل في اجتماع النساء وتقابلهن في البكاء على

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) فتح الباري (٣،١٦٤) .

(٣) رواه الترمذي في سننه ،باب ما جاء في الرخصة في البكاء ،(٣،٣١٩) وقال : حسن ، وابن أبي شيبة في المصنف (٣،٦٢) وحسنه الألباني في الجامع الصحيح (٣٥٦،٢٨)

(٤) **المراسيل لأبي داود (٢٩٧)** تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، قال المحقق : " عبدالحميد بن بكار :روى عنه جمع ، وذكره ابن حبان في "الثقات" ،وباقي السند رجاله ثقات .

(٥) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين (٢٦٠) .

(٦) مجموع الفتاوى (١٠/١٧) .

(٧) لسان العرب (٢/٦٢٧) .

الميت[1] . والنياحة من عمل الجاهلية ، وقد نهى عنها الإسلام، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال "ثَلَاثٌ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُهُنَّ أَهْلُ الْإِسْلَامِ: النِّيَاحَةُ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالْأَنْوَاءِ وَالتَّعَايُرُ"[2] ، وقال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»[3]

قال ابن الجوزي: "قوله: " ليس منا " أي ليس على طريقتنا وسنتنا، وإنما نهى عما يدخل تحت الكسب من ضرب الخد وشق الجيب، ولم ينه عن البكاء والحزن. وأما دعوى الجاهلية فما كانوا يذكرونه عند موت الميت، تارة من تعظيمه ومدحه، وتارة من الندب عليه".[4]

والنّدب: أَن تعد شمائل الْمَيِّت وأياديه فَيُقَال واكريماه ، واشجاعاه ، واكهفاه واجبلاه .[5]

وفي النياحة أخبار كثيرة عن الرسول ﷺ؛ لأن ذلك يشبه التظلم والاستغاثة على الله عز وجل، وفيه تشبه بالاستعداء. وما فعله الله تعالى؛ فهو حق وعدل.[6]

وكذلك لا يجوز الصراخ على الميت، والدعاء بالويل والثبور، وكل ما يهيج الحزن فهو من قبيل النياحة[7] ، ومنه بعض المراثي التي تهيج الأحزان.

قال القرافي : "ليس الأمر على تحريم النواح وتفسيق النائحة مطلقا، ولا على إباحة المراثي وعدم تفسيق الشعراء الذين يرثون الموتى من الملوك والأعيان مطلقا، وإن اشتهر ذلك بين الناس بل الحق أن كلا من النواح والمراثي على أربعة أقسام: حرام كبيرة ، وحرام صغيرة، ومباح، ومندوب.

---

(١) فتح الباري (١/١٩٩) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥١٩،١٢)، وابن حبان في صحيحه (٤١٠/٧) ، وصححه الألباني في "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان " (١١٣،٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ،باب ليس منا من ضرب الخدود (٨٢،٢).

(٤) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢٩٧،١)

(٥) تحرير ألفاظ التنبيه للنووي (١٠٠) .

(٦) الحوادث والبدع (١٧٢)

(٧) قد يدخل في ذلك كتابة المذكرات التي يخاطب فيها الإنسان ميتا له غائب ، ويذكر فيه عظيم فقده له مثلا، وتكالب الدنيا عليه، أو الخواطر التي تهيج الحزن، وكذا الشعر الذي من هذا الباب .

أما ضابط ما هو حرام كبيرة من النواح والمراثي، فكل كلام يقرر في النفوس ويوضح للأفهام نسبة الرب سبحانه وتعالى إلى الجور في قضائه والتبرم بقدره، وأن الواقع من موت هذا الميت لم يكن مصلحة بل مفسدة عظيمة فيحمل السامعين على اعتقاد ذلك يكون حراما كبيرة نظما كان أو نثرا مرثية أو نواحا، وذلك كأن تقول النائحة لفظًا يقتضي فرط جمال الميت وحسنه وكماله وشجاعته وبراعته وأبهته ورئاسته، وتبالغ فيما كان يفعل من إكرام الضيف والضرب بالسيف والذب عن الحريم والجار إلى غير ذلك من صفات الميت التي يقتضي مثلها أن لا يموت، فإن بموته تنقطع هذه المصالح..

وأما ضابط ما هو حرام صغيرة: فكل كلام نظما أو نثرا مرثية أو نواحا لم يصل إلى الغاية المذكورة في القسم الأول، إلا أنه يبعد السلوة عن أهل الميت، ويهيج الأسف عليهم حتى يؤدي إلى تعذيب نفوسهم وقلة صبرهم وضجرهم، وربما بعثهم على القنوط وشق الجيوب وضرب الخدود يكون حراما صغيرة..

وأما ضابط ما هو مباح من النواح والمراثي فكل كلام لم يكن فيه شيء مما في القسمين قبله، بل ذكر فيه دين الميت، وأنه انتقل إلى جزاء أعماله الحسنة، ومجاورة أهل السعادة، وأنه أتى عليه ما قضى على عامة الناس، وأن هذا سبيل لا بد منه وأنه موطن اشترك فيه جميع الخلائق وباب لا بد من دخوله يكون مباحا خاليا عن التحريم...

وأما ضابط المندوب من النواح والمراثي فكل كلام زاد على ما في قسم المباح من أمر أهل الميت بالصبر وحثهم على طلب الأجر والثواب، وأنهم ينبغي لهم أن يحتسبوا ميتهم في سبيل الله تعالى ويعتمدون في حسن الخلف على الله تعالى ونحو ذلك يكون مندوبًا إليه مأمورًا به"[(١)] .

وقد فهم السلف ذلك، والتزموه، ومن ذلك ما نقل عن ابن عقيل فإنه لما توفي ابنه عقيل حزن عليه وصبر صبرًا جميلًا، فلما دفن جعل يتشكر للناس، فقرأ قارئ: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف:٧٨] فبكى ابن عقيل وبكى الناس وضج

---

(١) الفروق للقرافي (٢/ ١٨١) .

الموضع بالبكاء فقال ابن عقيل للقارئ: "يا هذا إن كان يهيج الحزن فهو نياحة، والقرآن لم ينزل للنوح بل لتسكين الأحزان"[(١)] .

وقال الخطابي معلقًا على حديث عبد الله بن أبي أوفى في النهي عن المراثي:" الذي ذكره من المراثي: النياحة ، وما يدخل في معناها من تأبين الميت على ما جرى عليه مذاهب أهل الجاهلية من قول المراثي ، ونصب النوائح على قبور موتاهم، فأما المراثي التي فيها ثناء على الميت ودعاء له ، فغير مكروهة ، وقد رثى رسول الله غير واحد من الصحابة ، وندبته فاطمة بكلام مذكور عنها ، ورثي أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة بمراث رواها العلماء ، ولم يكرهوا إنشادها ، وهي أكثر من أن تحصى"[(٢)] .

*قول: "لو" على سبيل الاعتراض : من ذلك قول المنافقين عمن قُتل: ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران:١٥٦] . قال ابن جرير: " يعني: أنهم يقولون ذلك، كي يجعل الله قولهم ذلك حزنا في قلوبهم وغما، ويجهلون أن ذلك إلى الله جل ثناؤه وبيده.[(٣)]

وعن أبي هريرةرضي الله عنه أن النبي ﷺ: « وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».[(٤)] قال النووي: فإن لو تفتح عمل الشيطان أي يلقي في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان.[(٥)]

قال ابن تيمية: "" لو " تستعمل على وجهين: أحدهما على وجه الحزن على الماضي والجزع من المقدور فهذا هو الذي نهى عنه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٥٦﴾ [آل عمران:١٥٦]وهذا هو الذي نهى عنه النبي ﷺ حيث قال:

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٢٩٤) .

(٢) غريب الحديث (٦٤٩/١) تحفة الأحوذي (٢٥٣/٦) وانظر : "فتح الباري" (١٦٤/٣-١٦٥(

(٣) تفسير الطبري (٣٣٠/٧) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ، حديث (٢٦٦٤)

(٥) شرح النووي على مسلم (٢١٦،١٦) .

«... فإن لو تفتح عمل الشيطان» أي: تفتح عليك الحزن والجزع وذلك يضر ولا ينفع بل اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك". [(١)]

فنهى الرجل بعد إصابة ما قدر له أن يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، وأخبر أن ذلك ذريعة إلى عمل الشيطان، فإنه لا يجدي عليه إلا الحزن والندم وضيقة الصدر والسخط على المقدور ، وما ذاك لمجرد لفظ " لو " بل لما قارنها من الأمور القائمة بقلبه المنافية لكمال الإيمان الفاتحة لعمل الشيطان، بل أرشد العبد في هذه الحال إلى ما هو أنفع له وهو الإيمان بالقدر والتفويض والتسليم للمشيئة الإلهية وأنه ما شاء الله كان ولا بد؛ فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط. [(٢)]

فالمؤمن مأمور حتى في حال حزنه بأن يكون راضيًا مؤمنًا بقضاء الله وقدره ، ويأثم على تجاوز حزنه إلى أقوال أو أفعال تدل على التسخط والجزع ،والاعتراض على أمر الله ، فإن من الإيمان التسليم والرضا بأقدار الله، وقد بين الله تعالى أثر الإيمان بالقدر في تخليص القلب من القلق الناتج عن الحزن على فوات محبوب، أو الخوف من حصول مكروه، فقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد ٢٢-٢٣]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "وأخبر الله عباده بذلك، لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، فلا ييأسوا ويحزنوا، على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم، وتشوفوا إليه لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه أثر الإيمان . [(٣)]

وقال البيهقي في تفسير الآية : " وهذا يؤكد قول الحليمي -رحمه الله- في هذه الآية: "أن المراد بالحزن: التسخط والتفجر، والمراد بالفرح: فرح التبذخ والتكبر ". [(٤)]

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٤٨،١٨)

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٦٠/٥)

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٨٤٢،١)

(٤) شعب الإيمان (٣٩٧/١) .

*ترك شيئًا مما كان يفعله قبل المصيبة، فقد عد العلماء هذا الترك من الجزع، قال عبد الله بن مبارك ـ رحمه الله ـ: أتى رجل يزيد بن يزيد، وهو يصلي، وابنه في الموت، فقال: ابنك يقضي وأنت تصلي؟ فقال: إن الرجل، إذا كان له عمل يعمله، فتركه يوماً واحداً، كان ذلك خللاً في عمله.[(١)]

وقيل: مات ابن لبعض قضاة البصرة، فاجتمع إليه العلماء والفقهاء، فتذاكروا ما تبين به جزع الرجل من صبره، فأجمعوا أنه إذا ترك شيئاً مما كان يصنعه فقد جزع.[(٢)]

*ومنه مايفعله بعض من يصاب بمصيبة من تقصد وتعمد **اعتزال الاجتماعات والأفراح وملازمة البيت** . قال بكر بن عبد الله المزني: كان يقال: من الاستكانة الجلوس في البيت بعد المصيبة[(٣)] .

*وكذلك ترك الزينة التي كانت من عادته من أجل المصيبة . وقد أنكر اسحق بن راهوايه أن يترك لبس ما عادته لبسه، وقال: هو من الجزع . وقال ثابت: أصيب عبد الله بن مطرف بمصيبة، فرأيته أحسن شيء شارة وأطيبه. وقال خالد بن أبي عثمان القرشي كان سعيد بن جبير يعزيني في ابني فرآني أطوف بالبيت متقنعًا فكشف القناع عن رأسي وقال: الاستكانة من الجزع.[(٤)]

قال ابن القيم رحمه الله عن حال السلف عند المصيبة: "وبالجملة فعادتهم أنهم لم يكونوا يغيرون شيئًا من زيهم قبل المصيبة ولا يتركون ما كانوا يعملونه فهذا كله منافٍ للصبر والله سبحانه أعلم".[(٥)]

وقد نهى النبي ﷺ عن أن تحد المرأة عن أحد –غير زوجها– أكثر من ثلاثة أيام . قالت زينب بنت أبي سلمة: "دخلت على أم حبيبة ، زوج النبي ﷺ، حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب. فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق ، أو غيره. فدهنت به جارية. ثم مسحت بعارضيها. ثم

---

(١) المرجع السابق

(٢) تسلية أهل المصائب (١٦٦)

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٢٧٣)

(٤) المرجع السابق

(٥)عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٢٧٣) .

قالت: والله، ما لي بالطيب حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله، واليوم الآخر، أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا»[١] .

*وكذا **ملازمة البكاء** مما ينافي الصبر، و قد أمهل النبي ﷺ آل جعفر – ثلاثا – بعد وفاته ثم أتاهم فقال: « لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ »[٢] .

ففيه دلالة على أن البكاء والتحزن على الميت من غير ندبة ونياحة جائز ثلاثة أيام[٣] .

***مسأله: هل البكاء ينافي الصبر؟**

-أما البكاء عند المصيبة فهو أثر من آثار الحزن وهو مما فطر الله عليه الخلق، كما خلق فيهم الموت والحياة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم:٤٣-٤٤]، وما كان من مقتضيات الفطر فلا يأت الشرع بمنعه فليس باستطاعة الإنسان حبسه[٤] ، وإنما يأت الشرع بتهذيبه، وضبطه لئلا يتجاوز المباح المأذون به، لذا فالجمهور على إباحة البكاء على الميت، ما لم يكن مصحوبًا بنواح أو ندب ونحو ذلك[٥] ، وقد بكى النبي ﷺ لما مات إبنه إبراهيم، فعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال: دخلنا مع رسول الله ﷺعلى أبي سيف القين، وكان ظئرا[٦] لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺإبراهيم، فقبله، وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ» ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الجنائز ، باب إحداد المرأة على غير زوجها (٧٨،٢)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٩،٣) وأبو داوود في سننه (٨٣،٤) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٣٦٧،٢)

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داوود (١٦٤،١١)

(٤) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣/ ٢٨٧)

(٥) الإقناع في مسائل الإجماع (١٩٠،١) ، وانظر في حكم البكاء على الميت : الاستذكار (٦٨،٣) . المجموع للنووي (٢٠٧،٥) .سبل السلام (١، ٥٠٦)، معرفة السنن والآثار (٥، ٣٤٥)

(٦) يقال لزوج المرضعة "ظِئر" .

إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[1]، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "هذا الحديث يفسر البكاء المباح، والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع العين، ورقة القلب من غير سخط لأمر الله، وهو أبين شيء وقع في هذا المعنى".[2]

وقال ابن الملقن : "وهذا الحديث أبين شيء وقع في البكاء، وهو يبين ما أشكل من المراد بالأحاديث المخالفة له، وفيه ثلاثة أوجه جائزة: حزن القلب، والبكاء، والقول الذي لا تحذير فيه، وأن الممنوع النوح وما في معناه مما يفهم أنه لم يرض بقضاء الله ويتسخط له، إذ الفطرة مجبولة على الحزن، وقد قَالَ الحسن البصري: العين لا يملكها أحد، صبابة المرء بأخيه"[3]

وكذا حديث أنس بن مالك ﷺ في البخاري، قال: شهدنا بنتًا لرسول الله ﷺ، قال: ورسول الله ﷺ جالس على القبر، قال: فرأيت عينيه تدمعان.[4]

وبين ﷺ في مقام آخر ضابط الإذن بالبكاء فقال: « إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا — وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ – أَوْ يَرْحَمُ»[5].

كما ورد في بعض الآثار انتحاب النبي ﷺ عند تلقيه خبر جعفر وزيد رضي الله عنهما . فعن خالد بن سلمة المخزومي، قال: لما جاء مصاب جعفر، وزيد أتى رسول الله ﷺ عند منزل زيد فلما كان بالباب تلقته ابنة لزيد فجهشت في وجهه بالبكاء فبكى رسول الله ﷺ حتى انتحب فقيل: يا رسول الله ما هذا؟ قال:«شَوْقُ الْحَبِيبِ إِلَى الْحَبِيبِ»[6] والنَّحِيبُ: أَشدُّ البكاء[1]. وفي حديث ابن عمر لما نُعِيَ إِليه حُجْرٌ بن عدي: غَلَب عليه النَّحِيبُ[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ،باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون» (٨٢/٢)

(٢) فتح الباري (١٧٤،٣)

٣ التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩/ ٥٧٩)

(٤) صحيح البخاري ،كتاب الجنائز ،باب من يدخل قبر المرأة (٧٩،٢)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب البكاء عند المريض ، (٨٤،٢) .

(**٦**) المراسيل لأبي داود (ص ٢٩٧) ، وذكره ابن سعد في الطبقات وقد تحرفت فيه "خالد بن سلمة" إلى "خالد بن شمير"انظر شمير"انظر : الطبقات الكبرى (٣٤،٣) ، وأورده ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (١٣٩،١) ،وفي حاشية سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٠،١) رجاله ثقات ،لكنه منقطع .

كما ورد عن الصحابة مثل هذا المعنى فعن عمر ﷺ: " دعهن يبكين على أبي سليمان –يعني خالد بن الوليد– ما لم يكن نقع أو لقلقة، والنقع: التراب على الرأس، واللقلقة: الصوت".[٣]

أما ما ورد من النهي عن البكاء كما في قوله ﷺ : " دَعْهُنَّ، فَإِذا أوجب، فَلَا تبكين باكية " قَالُوا: وَمَا الْوُجُوب يَا رَسُول الله؟ قَالَ: " الْمَوْت "[(٤)] فهو محمول على البكاء المعهود في الجاهلية، قال ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال في جواز البكاء على الميت و تحريمه: "فإذا بكى على الميت البكاء المحرم وهو البكاء الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، والبكاء على الميت عندهم اسم لذلك وهو معروف في نثرهم ونظمهم تألم الميت بذلك في قبره، فهذا التألم هو عذابه بالبكاء عليه[(٥)]، وهذه طريقة شيخنا في هذه الأحاديث".[(٦)]

وبهذا التفريق الذي ذكره ابن القيم فيما يقع عليه اسم البكاء يمكن الجمع بين النهي عن البكاء وجوازه، وأورد ابن القيم رحمه الله في "عدة الصابرين" اثنا عشرة حجة تدل على عدم كراهة البكاء، وقال: " فتعين حمل أحاديث النهي على البكاء الذى معه ندب ونياحة "[(٧)].

قال ابن عبدالبر في "الاستذكار" : "كل حديث أتى فيه ذكر البكاء فالمراد به النياحة عند جماعة العلماء لأن الله تعالى يقول :(أضحك وأبكى)"[٨]

وجمع بينهما الحكيم الترمذي من وجه آخر حسن، بأن هذا كان في أول الأمر لأن الناس حديثوا عهد بالجاهلية، فلما تمكن الإيمان منهم رُفع هذا النهي، قال: " فالنياحة هي تعديد الأحوال

---

(١) المحكم (٣،٣٨٦) الصحاح (١،٢٢٢)،مختار الصحاح (٣٠٦) القاموس المحيط (١،١٣٦)

(٢) البداية والنهاية (٨،٦٠)

(٣) صحيح البخاري ، باب مايكره من النياحة على الميت (٢،٨٠)

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٩،١٦٣) ، وأبي داوود في سننه (٣،١٨٨) ،وابن حبان في صحيحه (٧،٤٦١) وصححه الألباني في "التعليقات الحسان" (٧،٤٦١) .

(٥) يقصد قوله ﷺ قال: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» . رواه البخاري،كتاب الجنائز .

(٦) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (١٠٨)

(٧) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٢٧٣)

(٨) (٣/ ٧١) .

كالمراثي لتتوقد نار المصيبة، وحرقات الرأفة، وتقوى الفجيعة. فذلك من السخط والتلهف على الفائت المفقود. وكانوا يحتشدون لذلك، ويتخذون عليه الطعام، وتتبع نساؤهم الميت إلى المدفن بهذه الصفات...فهذه كلها أحوال المشركين في مصائبهم...فلما ابتعث الله رسولهﷺ بدين الإسلام، أمرهم بالصبر والنزول على حكمه، ..وزجر رسول الله ﷺ عن النياحة، وعن كل ما أشبه النياحة، وكل سبب من أسبابها؛ حتى نهى عن البكاء؛ فقال في شأن ميت مات بحضرته: (إذا وجب فلا تبكين باكية) . أراد بذلك حسم هذا الباب على المسلمين لحداثة عهدهم بأمر الجاهلية، حتى بلغ من حسمه أن نهاهم عن زيارة القبور.... فبين عليه السلام علة النهى أنهم كانوا إذا زاروا القبور قالوا هجرا، فصاروا إلى النياحة، فلما تمسكوا وعقلوا الإسلام أطلق لهم الزيارة، وحسم عليهم أبواب النياحة حتى إذا اهتدوا وفقهوا أطلق لهم من ذلك ما لم يكن به بأس"[(١)] .

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية– أن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، وبين أن من يجمع بين دمع العين ورضا القلب أكمل ممن لايقدر على ذلك إما لغلبة القسوة أو لغلبة الجزع، فيقول ما نصه : " لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، وذلك لا ينافي الرضا، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه، وبهذا يعرف معنى قول النبي ﷺ لما بكى على الميت وقال: إن هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، فإن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت ، فإن الفضيل بن عياض لما مات ابنه علي فضحك وقال: "رأيت أن الله قد قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به" حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع . وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى كحال النبي ﷺ فهذا أكمل ، كما قال تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:١٧] فذكر سبحانه التواصي بالصبر والمرحمة"[(٢)] .

والمرحمة"[(٢)] .

وقد يرد على هذا إشكال، وهو: أن النبي ﷺ أكمل الخلق قد أقر بالحزن والبكاء على فراق إبراهيم وذلك في قوله « وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»، قال في المرقاة : "(وإنا بفراقك) أي:

---

(١) المنهيات (٨٣)

(٢) التحفة العراقية (٥٨) .

بسبب مفارقتك إيانا ، (يا إبراهيم لمحزونون) أي: طبعًا وشرعًا، وفيه إشارة إلى أن من لم يحزن فمن قساوة قلبه، ومن لم يدمع فمن قلة رحمته، فهذا الحال أكمل عند أرباب الكمال، من حال من مات له ولد من المشايخ فضحك، فإن العدل أن يعطى كل ذي حق حقه"[(١)] .

وقد يكون معنى قول ابن تيمية "يبكي لحظّه" أي: لفوات مصلحته من الميت؛ فيدخل في الندب، فيكون من الجزع، أما البكاء للفراق فهو من بكاء الرحمة والرقة، فقد قال النبي ﷺ «وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ»[(٢)] ، وهذا يدل على سبب الحزن وهو "الفراق" ويدل على ذلك قوله ﷺ في الرواية الأخرى: "يَا إِبْرَاهِيمُ لَوْلَا أَنَّهُ أَمْرٌ حَقٌّ، وَوَعْدٌ صِدْقٌ، وَأَنَّ آخِرَنَا سَيَلْحَقُ بِأَوَّلِنَا لَحَزِنَّا عَلَيْكَ حُزْنًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ، تَبْكِي الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ"[(٣)] ، فبين أن سبب الحزن هو لوعة الفراق، وأن العزاء هو ما يرجوه من اللقاء.

وعليه فإن الحزن والبكاء على الميت إن لم يكن فيه تسخط، ولا جزع، ولا اعتراض على القدر، وكان القلب ملؤه الرضا، ولكن يبكي ويحزن رحمةً بالميت لما هو مقبل عليه من الشدائد، وكذلك لألم فراقه فهذا لا يقدر الإنسان على دفعه، ولم يأمر الشرع بصده . و ضابط ذلك كما قال ابن بطال–: "ما كان بدمع العين ورقة النفس، ولم يكن تسخطًا"[(٤)] .

وأختم هذا المطلب بما ذكره ابن القيم في إعلام الموقعين من كمال الشريعة في الإذن بما يقضي به الإنسان وطره من الحزن، فقال: " فإن الإحداد على الميت من تعظيم مصيبة الموت التي كان أهل الجاهلية يبالغون فيها أعظم مبالغة، ويضيفون إلى ذلك شق الجيوب، ولطم الخدود، .. إلى غير ذلك مما هو تسخط على الرب تعالى وأقداره، فأبطل الله سبحانه برحمته ورأفته سنة الجاهلية، وأبدلنا بها الصبر والحمد والاسترجاع الذي هو أنفع للمصاب في عاجلته وآجلته؛ ولما كانت مصيبة الموت لا بد أن تحدث للمصاب

---

(١) مرقاة المفاتيح (٣/١٢٣٠).

(٢) رواه بهذا اللفظ البخاري ، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»(٢،٨٣)

(٣) رواه البيهقي في سننه الكبرى (٤،١١٥)، والحاكم في المستدرك (٤،٤٣). ومدار الحديث على ابن أبي ليلى، قال الزيلعي في "نصب الراية" (٤/ ٨٤): "قال النووي في الخلاصة: ومُحَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ضعيف، ولعله اعتضد" ، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١،٧٩٠): "سكت عليه الحاكم والذهبي، ورجال إسناده ثقات، إلا أن إبن أبي ليلى سيء الحفظ، فمثله يستشهد به ويعتضد" . والله أعلم .

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/٢٨٧) .

من الجزع والألم والحزن ما تتقاضاه الطباع سمح لها الحكيم الخبير في اليسير من ذلك، وهو ثلاثة أيام تجد بها نوع راحة وتقضي بها وطرا من الحزن، فإن فطام النفوس عن مألوفاتها بالكلية من أشق الأمور عليها، فأعطيت بعض الشيء ليسهل عليها ترك الباقي، فإن النفس إذا أخذت بعض مرادها قنعت به، فإذا سئلت ترك الباقي كانت إجابتها إليه أقرب من إجابتها لو حرمت بالكلية"[(١)] .

المطلب الثاني: الحزن على مصائب المسلمين، وضوابطه:

بين المؤمنين عقد عظيم، ورابطة وثيقة، عقد الولاء، ورابطة المحبة، ومن لوازم هذا الولاء أن يستاء المؤمن لمصاب أخيه، ويحزن لما يحل به من البلايا . قالﷺ: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(٢)] .

"فالأخ المؤاخي في الله كالذي وصف به الشارع المؤمن للمؤمن في أن كل واحد منهما لصاحبه بمنزلة الجسد الواحد؛ لأن ما سرَّ أحدهما سرَّ الآخر، وما ساء أحدهما ساء الآخر"[(٣)]

وقد حزن النبي ﷺ لما بلغه نبأُ مقتل القراء. فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا حِينَ قُتِلَ الْقُرَّاءُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَزِنَ حُزْنًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْهُ"[(٤)] . ويظهر من وصف أنس لحال النبي ﷺ مدى حزنه على صحابته رضوان الله عليهم. حتى إنه من شدة حزنه عليهم مكث يدعو شهراً على القتلة في صلاته، وحزن لما عاد سعد بن عبادة وهو في غشية من شدة المرض وبكى[(٥)]، وعن المنذر بن جرير، عن أبيه، قال: "كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١١٢) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٤/ ١٩٩٩)

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ، باب الحب في الله ،(٣٢٦،٢٨) .

(٤) رواه البخاري، كتاب: الجنائز، بَاب: مَنْ جَلَسَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ يُعْرَفُ فِيهِ الْحُزْنُ(٨٢/٢)، ومسلم بنحوه في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت نازلة(٤٦٩/١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب البكاء عند المريض ، (٨٤،٢) .

ﷺ لما رأى بهم من الفاقة"[١]، قال في "المرقاة": "فتمعر : بالتشديد أي: فتغير وجه رسول – ﷺ –، وظهر عليه آثار الحزن لما رأى بهم من الفاقة"[٢]، وتواتر عنه ذلك عليه الصلاة والسلام.

وباعث هذا الحزن يثاب عليه صاحبه ، ويعد حزناً محموداً من تلك الجهة . كما قال ابن تيمية: "وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه فيكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن؛ كالحزين على مصيبة في دينه، وعلى مصائب المسلمين عموما، فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك"[٣] .

وضابط هذا الحزن ألا يكون من قبيل الجزع، بل على المؤمن أن يكون متيقنًا بأن العاقبة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:٤٧] فهو حق أوجبه على نفسه الكريمة، تكرمًا وتفضلًا[٤] ، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] أي: "قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة وإن العاقبة للمتقين"[٥] ، كما لا يحسن بالمؤمن أن يكون هذا الحزن متمكنًا منه شاغلًا قلبه و صارفًا له عن القيام بما أوجب الله عليه.

قال ابن تيمية: "وأما إن أفضى –أي الحزن– إلى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر الله ورسوله به كان مذمومًا عليه من تلك الجهة وإن كان محمودًا من جهة أخرى"[٦] .

ولا يكون هذا الحزن محمودا إلا إذا دفع صاحبه إلى نصرة المسلمين وموالاتهم — بحسب استطاعته– قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٣] ،أي: "إلا تعاونوا وتناصروا في الدين (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)"[٧] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (٢/ ٧٠٤)

(٢) "المرقاة" المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٩٢)

(٣)مجموع الفتاوى (١٧/١٠) . .

(٤) تفسير ابن كثير (٣٢٢/٦)

(**٥**) تفسير ابن كثير (٣٢٢/٦).

(٦) مجموع الفتاوى (١٧/١٠) .

(٧) تفسير الطبري (٨٧،١٤) .

المطلب الثالث: الحزن على مصائب الكفار، وضوابطه .

لما شرع الله ﷻ وجوب البراءة من الكافرين استثنى بعض الأفعال والأحوال التي لا تعارض البراءة العامة، ومن ذلك بعض أحوال الحزن، فالحزن على مصائب الكفار يختلف بحسب نوع المصيبة، وباعث الحزن؛ وذلك على التفصيل التالي:

أولا- إن كانت مصيبة الكفار في دينهم، وباعث الحزن هو كفر الكافر فهذا باعث يؤجر عليه صاحبه، وهو طاعة من الطاعات، وإنما عاتب رب العالمين نبيه ﷺ لأنه كان يشتد به الحزن عليهم، فقال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف:٦] أي: "لعلك يا مُحَمَّد قاتل نفسك و مهلكها" .

قال القشيري: "والحزن على كفر الكافر طاعة، ولكن النبي ﷺ كان يفرط في الحزن على كفر قومه، فنهي عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾ [فاطر:٨]

ومنه حزن النبي ﷺ على عمه أبي طالب لأنه مات على الكفر،؛ وكان النبي ﷺ يرجو إسلامه[(١)] ، أما إذا عاند وجحد وكابر، وفات ما يرجى من إسلامه نُهي عن الحزن عليه، قال ابن إسحاق: "يعاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم: أي لا تفعل"[(٢)] ، وبهذا يوجه النهي عن الحزن على الكفار لكفرهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ [النحل:١٢٧] قال السمعاني: "أَي: لَا تحزن على أفعالهم وإبائهم للإسلام"[(٣)] ، وقال: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٧٦]، وفي قصة شعيب عليه السلام قال ﷻ: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ

---

(١) رواه البخاري في الصحيح ، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله (٩٥،٢) ، ومسلم في صحيحه ،باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله (٥٤،١) .

(٢) تفسير الطبري (٥٩٨،١٧) .

(٣) تفسير السمعاني (٢١١،٣) .

رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:٩٣] يقول: "فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله، وأتوجع لهلاكهم؟"[١].

وقد بين ابن القيم في "النونية" الجمع بين الرحمة، والبراءة من الكفار، فقال:

وانظر إلى الأقدار جارية بما	قد شاء من غي ومن إيمان
واجعل لقلبك مقلتين كلاهما	بالحق في ذا الخلق ناظرتان
فانظر بعين الحكم وارحمهم بها	إذ لا ترد مشيئة الديان
وانظر بعين الأمر واحملهم على	أحكامه فهما إذا نظران
واجعل لوجهك مقلتين كلاهما	من خشية الرحمن باكيتان
لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم	فالقلب بين أصابع الرحمن[٢]

ثانيا– الحزن على الكفار لأجل مصائبهم الكونية؛ من نقص الأموال والأنفس والثمرات مما يتعلق بمصلحة دنياهم، بسبب التعاطف معهم، والمودة لهم: فإن هذا ينافي الولاء و البراء[٣].

فإن المؤمنين أولياء الله وبعضهم أولياء بعض؛ والكفار أعداء الله وأعداء المؤمنين. وقد أوجب الله الموالاة بين المؤمنين وبين أن ذلك من لوازم الإيمان ، ونهى عن موالاة الكفار وبين أن ذلك مفسد للإيمان، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢] فأخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين، وأن من

---

(١) المرجع السابق (١٢،٥٧١).

(٢) نونية ابن القيم "الكافية الشافية" (١٩) .

(٣) قاعدة في المحبة (١٩٨) .

كان مؤمنًا لا يوالي من كفر، وإن كان من عشيرته.[1] ، فأخبر سبحانه أنه لا يوجد مؤمن يواد كافرًا؛ فمن واد الكفار فليس بمؤمن[2] .

وليس المطلوب من المسلم مجرد العداء لهم، بل المطلوب منه جهادهم، والحرص على مراغمتهم، وإدخال الحزن عليهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[التوبة:١٢٣]، فمن جهاد الكفار: السعي إلى كسر شوكتهم، ومراغمتهم، وإدخال الهزيمة عليهم بكل الوسائل والأسباب المباحة، والتضييق عليهم، حتى يحصل الإقبال على الإسلام والأدبار عن الكفر، فإن لم يحصل من المسلم جهاد ومراغمة للكفار، فلا أقل من معاداتهم القلبية، والحزن على مصائبهم ينافي ذلك.

وإذا كان الله قد نهى نبيه عن الحزن والأسف على كفرهم وهذا في مقام دعوتهم ، فكيف بالحزن من أجل مصاب حل بهم؟

بل إن الفرح بمهلك أعداء الإسلام أمر مشروع، وهو من نِعَم الله على عباده وعلى الشجر والدواب . قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾[الأحزاب:٩] ففي الآية بيان أن إهلاك الكفار نعمة من الله تستوجب الشكر، وامتن بها سبحانه وتعالى على المؤمنين .

فإن في هلاك الكافر راحة للبلاد والعباد، فعن أبي قتادة بن ربعي أنه كان يحدث: أن رسول الله ﷺمر عليه بجنازة، فقال: (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ) ، قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: (الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ)[3] .

---

(١) تفسير البغوي (٤٩/٥)

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٥٥٠،١) .

(٣) رواه البخاري ،باب سكرات الموت (١٠٧،٨) ، ومسلم، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه ،(٦٥٦/٢) .

وقد ورد عن السلف أنهم كانوا يفرحون بهلاك أهل الكفر والبدع . من ذلك سجود علي رضي الله عنه لله شكراً لمقتل " المخدَّج " الخارجي لما رآه في القتلى [1] ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية-:"وقاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارجَ، وذكر فيهم سنَّة رسول الله المتضمنة لقتالهم، وفرح بقتلهم، وسجد لله شكراً لما رأى أباهم مقتولاً وهو ذو الثُّدَيَّة" [2] .

وقال الخلاَّل -: قيل لأبي عبد الله - أي: الإمام أحمد بن حنبل- : الرجل يفرح بما ينزل بأصحاب ابن أبي دؤاد ، عليه في ذلك إثم ؟ قال: ومن لا يفرح بهذا ؟ [3]

وهذا السؤال ورد للإمام لما التبس على الناس كون هؤلاء ينتسبون للإسلام، وهذا يدل على أنه قد تقرر عندهم الفرح بهلاك الكافر .

أما إن كان الحزن من قبيل الرحمة الإنسانية الغالبة التي لا يملكها الإنسان،كأن يحزن على موت قريب له أو صديق كافر، ولم يكن من المحادين لدين الله، فهذا يجوز وهو مما لا يلام عليه صاحبه، ومنه حزن النبي ﷺ على أمه، فعن ابن مسعودرضي الله عنه، أن رسول الله ﷺخرج يومًا ، فخرجنا معه، حتى انتهينا إلى المقابر، فأمرنا فجلسنا، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فجلس إليه، فناجاه طويلًا، ثم رجع رسول الله ﷺباكيًا، فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ، ثم أقبل علينا، فتلقاه عمر رضوان الله عليه وقال: ما الذي أبكاك يا رسول الله، فقد أبكيتنا وأفزعتنا؟ فأخذ بيد عمر، ثم أقبل علينا، فقال: «أَفْزَعَكُمْ بُكَائِي؟» قلنا: نعم، فقال: «إِنَّ الْقَبْرَ الَّذِي رَأَيْتُمُونِي أُنَاجِي قَبْرُ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي الِاسْتِغْفَارَ لَهَا، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، فَنَزَلَ عَلَيَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]، فَأَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ الْوَلَدُ لِلْوَالِدِ مِنَ الرِّقَّةِ، فَذَلِكَ الَّذِي أَبْكَانِي، أَلَا وَإِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُرَغِّبُ فِي الْآخِرَةِ» [4]

وعلى هذا فإن الحزن على مصائب الكفار يتفاوت بحسب سببه وأحواله .

---

(١) مسند أحمد (١٢٢/٢) ، البداية والنهاية (٥٩٠/١٠)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠ ، ٣٩٥) .

(٣) السنَّة للخلال (٥ ، ١٢١) .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه ،ذكر ما يستحب للمرء أن يترك الاستغفار لقرابته المشركين أصلا ،(٢٦١،٣) .

المطلب الثالث: الحزن على فوات الدنيا، وضوابطه.

فطر الله نفوس بني آدم على حب الدنيا ومتاعها كما قال عز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران:١٤] قال الشيخ السعدي: " يخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، .. فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلقت بها نفوسهم، ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين:

قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة، ..فهؤلاء كانت زادا لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاء وامتحانا لعباده، .. فجعلوها وسيلة لهم وطريقا يتزودون منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم"(١) . و

"كان ابن عقيل –يقول: من قال: إني لا أحب الدنيا، فهو كذاب، فإن يعقوب عليه السلام لما طلب منه ابنه بنْيامين، قال: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [يوسف: ٦٤] فقالوا: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٦٥] فقال: خُذُوْهُ"(٢)

فلا يلام المرء على حب الدنيا ، فهو مباح مالم يتجاوز فيه ، وقد يرتقي حب الدنيا إلى مرتبة الندب والاستحباب مع حسن النية في قصد العفاف بالعفاف عن الحرام، وكفاية الأهل وصلة الأرحام والإخوان، وإعانة الضعيف، وإطعام الطعام.(٣)

---

(١) تفسير ابن سعدي (١٢٣/١) .

(٢) صيد الخاطر (١٦٧،١)

(٣) العواصم والقواصم (١٩٠،٨)

قال عبد الرحمن بن أسلم: "قلت لأبي حازم يوماً: إني لأجد شيئاً يحزنني، قال: وما هو يا بني؟ قلت: حُبِّيْ الدنيا، فقال لي: اعلم يا ابن أخي أني ما أعاتب نفسي على حب شيء حَبَّبه الله لي؛ لأن الله -عز وجل- حبب هذه الدنيا إلينا، ولكن لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا، ألا يدعونا حبها إلى أن نأخذ من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئاً أحبه الله؛ فإذا نحن فعلنا ذلك لا يضرنا حبنا إياها".[(١)]

قال ابن تيمية —: " فأما مجرد الحب الذي في القلب إذا كان الإنسان يفعل ما أمره الله به ويترك ما نهى الله عنه. ويخاف مقام ربه وينهى النفس عن الهوى فإن الله لا يعاقبه على مثل هذا"[(٢)].

إلا أن هذا الحب ينبغي أن يضبط ولا يحمله على أن تكون الدنيا همه وأن يحزن لأجلها، وقد نهى سبحانه عن الحزن على الدنيا فقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨] "فنهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الرغبة في الدنيا، ومزاحمة أهلها عليها، ولا تحزن عليهم، أي: لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا"**(٣)**.

فقد كان من دعاء النبي ﷺ: « وَلَا تجْعَل الدُّنْيَا أكبر همَنَا، وَلَا مبلغ علمنَا»[(٤)]، "أي: لا تجعل أكبر همنا قصدنا وحزننا لأجل الدنيا، بل اجعله مصروفاً في عمل الآخرة"[(٥)]، وقال الطيبي: "فيه أن قليلاً من الهم لابد منه في أمر المعاش المرخص، بل مستحب "[(٦)].

فمن الهم الدنيوي مالا بد منه، ولكن المنهي عنه أن يكون هو الشاغل له عن الآخرة وهو أكبر همومه . وأن يأسى ويأسف لفوات حظ دنيوي . وقد تُوعد من كان همه الدنيا بالهلاك ، قال

---

(١) تاريخ دمشق (٦٣،٢٢)

(٢) مجموع الفتاوى (١٠٧،١١)

(٣) تفسير البغوي (٦٥،٣) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه باب ، (٥٢٨،٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣١٠،١) ،والطبراني في الدعاء (٣١٠،١) ،وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٢،١)

(٥) شرح المصابيح لابن الملك (٢٢٩،٣)

(٦) الكاشف عن حقائق السنن (٥،١٩٢٨)

النبيﷺ «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ»[(١)].

وفي الحديث الآخر عن النبي ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»[(٢)].

قال ابن الجوزي: "العاقل لا يخلو من الحزن؛ لأنه يتفكر في سالف ذنوبه، فيحزن على تفريطه... فأما إذا كان الحزن لأجل الدنيا وما فات منها، فذلك الخسران المبين فليدفعه العاقل عن نفسه، وأقوى علاجه أن يعلم أنه لا يرد فائتًا، وإنما يضم إلى المصيبة مصيبة، فتصير اثنتين، والمصيبة ينبغي أن تخفف عن القلب وتُدفَع، فإذا استعمل الحزن والجزع، زادت ثقلًا"[(٣)].

قال ابن عقيل في "الفنون": "من عجيب ما نقدت من أحوال الناس كثرةُ ما ناحوا على خراب الديار، وموت الأقارب والأسلاف، والتحسُّر على الأرزاق، بذمِّ الزمان وأهله، وذكر نكد العيش فيه، وقد رأَوا من انهدام الإسلام، وشعث الأديان، وموت السُّنن، وظهور البدع، وارتكاب المعاصي، وتقضي العمر في الفارغ الذي لا يُجدِي، والقبيح الذي يُوبِق ويُؤذِي - فلا أجدُ منهم مَن ناح على دينه، ولا بكى على فارطِ عمره، ولا آسَى على فائتِ دهره، وما أرى لذلك سببًا إلا قلة مبالاتهم بالأديان، وعظم الدنيا في عيونهم، ضد ما كان عليه السلف الصالح؛ يرضون بالبلاغ، وينوحون على الدين"[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ، باب الهم بالدنيا ، (١٣٧٥/٢) ،والحاكم في المستدرك (٤٨١،٢) وقال : "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وصححه الذهبي في التلخيص رقم (٣٦٥٨).

(٢)أخرجه ابن ماجه في سننه ، باب الهم بالدنيا ، (١٣٧٥/٢)،والطبراني في المعجم الأوسط (١٢٣،٦) ،صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٣،٢) .

(٣) الطب الروحاني (٤١) .

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية ،(٣،٢٤٠) .

وهذا الحزن يفرق القلب، ويشغل عن العمل بما ينفع، ولا ينفك عن قلب صاحبه، وهو أخطر من الحزن المرتبط بسبب كالمصيبة مثلًا؛ لأن هذا الحزن يضل مستحكمًا على القلب يتسخط ويجزع ويزدري نعمة الله عليه .

وعليه : فضابط الحزن على الدنيا أن لا يشغله عن الاستعداد للآخرة، ولا يفرق عليه قلبه، ولا يزدري نعمة الله عليه فيتجزع ويتسخط..

الخاتمة :

من خلال ما تم عرضه فيما يتعلق بأنواع الحزن، وضوابطه، نخلص بما يأتي:

١/ إن الحزن في اللغة والاصطلاح بكل مشتقاته يدور حول الصعوبة، والتوجع والتأسف إما على أمر ماضٍ، أو على أمر مستقبل لم يتمكن المرء من الوصول إليه أو تحقيقه، وهناك بعض المصطلحات المقارِبة للحزن مثل: الهم والغم والأسف والكآبة والكرب من الناحية اللغوية، وتتضمن أمرا زائدا على الحزن.

٢/ يمكن تقسيم الحزن إلى نوعين: قسم يتعلق بأمور الدنيا كحزن الإنسان على موت شخص عزيز عليه أو فوات مصلحة له، وقسم يتعلق بأمور الآخرة كحزن المسلم على اقترافه الذنوب والمعاصي وتقصيره في الطاعات.

٣/ من خلال استقراء الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالحزن يتبين أن الحزن –بقسميه المذكورين سابقاً– انفعال غير محمود، وله آثار سيئة في حياة الإنسان سواء من الناحية الجسدية أو الناحية النفسية والإجتماعية، فهو من قواطع الطريق في السير إلى الله.

٤/ إذا كان مِنْ حالةٍ يُحْمَدُ فيها الحزن فهي حزن المسلم على معصيته أو تقصيره في الطاعة، أو حزنه على مصائب المسلمين، حبا وولاء في الله، وحتى في هذه الحالة فإنما يُحمد ما يدل عليه الحزن من إيمان القلب وسلامته.

٥/ كان من هدي النبي ﷺ ، التعوذ بالله من الحزن، ومعالجة الأحزان بعد وقوعها، بالأسباب الشرعية، بغرس العقيدة في النفوس والالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء والذكر والعبادة والترغيب والترهيب، والأسباب الكونية: كالتعبير المعتدل عن الحزن بالبكاء، ودفعه ببعض الأطعمة النافعة .

٦/ لا منافاة بين الصبر والبكاء إذا كان بدمع العين، وصوت لا يمكنه دفعه، وليس الصراخ، والنواح، والندب .

٦/ الحزن على مصائب الكفار له أحكام مختلفة، بحسب باعث الحزن، وسببه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فهرس المصادر والمراجع

*إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

*الإخوان ،أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا ، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤٠٩ – ١٩٨٨م .

*الآداب الشرعية والمنح المرعية ، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، الناشر: عالم الكتب .

*الأذكار النووية، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ،المحقق: محيي الدين مستو، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت ،ط ١٤١٠،٢ هـ – ١٩٩٠ م .

*إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧، ١٣٢٣ هـ.

*الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ،تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

*الاستقامة، أبو العباس ابن تيمية الحراني، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط ١، ١٤٠٣هـ .

*إصلاح المساجد من البدع والعوائد، محمد جمال الدين القاسمي ،خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط ٥، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

*إصلاح المنطق، المؤلف: ابن السكيت، المحقق: محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م

*أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر بيروت – لبنان ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

*الاعتصام ، إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

*إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٣هـ .

*اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية الحراني ،المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
*إكمَالُ المعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض اليحصبي السبتي، المحقق: يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
*الأم ، الشافعي أبو عبد الله مُحَمَّد بن إدريس، الناشر: دار المعرفة – بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
*البحر المحيط في التفسير، أبوحيان الأندلسي، المحقق: صدقي جميل، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
*البداية والنهاية؛ أبوالفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ.
*بدع القراء القديمة والمعاصرة، بكر بن عبد الله أبو زيد، المحقق:، الناشر: مؤسسة قرطبة.
*تاريخ الرسل والملوك؛ مُحَمَّد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ.
*تاريخ دمشق؛ ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة، دار الفكر ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
*التبيين لدعوات المرضى والمصابين، عبدالرزاق البدر، الناشر: مطابع أضواء المنتدى، ط٢، ١٤٢٥هـ.
*تحفة الأحوذي ، بشرح جامع الترمذي، أبو العلا مُحَمَّد المباركفوري ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .
*التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية الحراني ،الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ .
*تسلية أهل المصائب، مُحَمَّد بن مُحَمَّد، شمس الدين ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة٢، ١٤٢٦هـ.
*التعرف لمذهب أهل التصوف،: أبو بكر مُحَمَّد الكلاباذي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
*التعريفات ، علي بن مُحَمَّد الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

*التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، مؤلف الأصل: مُحَمَّد بن حبان، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان، تحقيق: ناصر الدين الألباني، الناشر: دار باوزير، جدة- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ.
*تفسير الراغب الأصفهاني، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب، تحقيق: د. مُحَمَّد بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
*تفسير القرآن العظيم، أبو مُحَمَّد الرازي ابن أبي حاتم ،المحقق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط ٣ — ١٤١٩هـ .
*تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء ابن كثير القرشي ،المحقق: سامي سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
*تفسير القرآن، أبو المظفر، السمعاني المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الناشر: دار الوطن، الرياض — ط ١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
*تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، أبو الليث السمرقندي ،حققه وعلق عليه: يوسف بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق — بيروت، ط ٣، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
* تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه، دار الكتب العملية، بيروت.
*تهذيب اللغة، مُحَمَّد بن أحمد الأزهري، المحقق: مُحَمَّد عوض، دار إحياء التراث— بيروت،ط١، ٢٠٠١م.
*التوضيح لشرح الجامع الصحيح ، ابن الملقن، المحقق: دار الفلاح، الناشر: دار النوادر، دمشق — سوريا، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
*التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، لناشر: عالم الكتب-القاهرة، ط ١٤١٠،١هـ.
*تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان آل الشيخ،المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .
*تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي ،المحقق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .
*التيسير بشرح الجامع الصغير ، عبد الرؤوف المناوي ،الناشر: مكتبة الإمام الشافعي — الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

*جامع البيان في تأويل القرآن ؛ أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠ هـ .

*الجامع الكبير - سنن الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد، الناشر: دار الغرب الإسلامي — بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

*الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية — القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .

*جمهرة اللغة؛ أبو بكر مُحَمَّد الأزدي، تحقيق: رمزي منير، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

*الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة — المغرب، ط ١، ١٤١٨هـ.

*حقيقه السنة والبدعة، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الناشر: مطابع الرشيد، ١٤٠٩ هـ .

*الحوادث والبدع ، مُحَمَّد بن الوليد بن مُحَمَّد بن خلف القرشى المالكي ،المحقق: علي بن حسن الحلبي، الناشر: دار ابن الجوزي، ط ٣، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

*الخصائص الكبرى ، جلال الدين السيوطي ، لناشر: دار الكتب العلمية — بيروت .

*دراسات في التصوف ، إحسان إلهي ظهير،دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، ط١ ، ١٤٢٦ هـ - .

*الدعاء للطبراني، المحقق: مصطفى عطا، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ .

* الدعوات الكبير، البيهقي ،لمحقق: بدر البدر، الناشر: غراس للنشر والتوزيع — الكويت، الطبعة الأولى للنسخة الكاملة، ٢٠٠٩ م.

*الدلالات النفسية واللغوية لمفهومي الخوف والحزن في القرآن الكريم ، عبد الباقي أحمد ، عائدة الأنصاري، الخرطوم ، ٢٠١٣ م.

*الديباج على صحيح مسلم ، جلال الدين السيوطي ،حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، الناشر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية — الخبر، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م .

* رسائل فلسفية للكندي والفارابي وابن باجه وابن عدي، عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٩٧،

*الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء، ابن قيم الجوزية ، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت .

*زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية ،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٧ ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

*الزهد ، أحمد بن حنبل ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

*سبل السلام ، أحمد بن إسماعيل الصنعاني، الناشر: دار الحديث.

*سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مُحَمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، مكتبة المعارف.

*سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة؛ الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

*السنة؛ أبو بكر الخَلَّال ، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

*سنن ابن ماجه؛ تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

*سنن أبي داود، المحقق: شعَيب الأرنؤوط- الناشر: دار الرسالة العالمية،ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

*السنن الكبرى؛ البيهقي، تحقيق: مُحَمَّد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

*السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات ،مُحَمَّد خضر الشقيري الحوامدي ،المصحح: مُحَمَّد خليل هراس، الناشر: دار الفكر.

*سير أعلام النبلاء؛ شمس الدين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

*السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت — لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م .

*شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، ط٢ ١٤٢٣هـ - .

*شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ .

*شعب الإيمان ، البيهقي، أشرف على تحقيقه: مختار الندوي ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

*الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر الجوهري ،تحقيق: أحمد عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
*صحيح البخاري ؛ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه؛ مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
*صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض ،ط ١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م.
*صحيح الجامع الصغير وزيادته ، الألباني ،الناشر: المكتب الإسلامي.
*الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي ، المحقق: عبد الرحمن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
*صيد الخاطر، أبو الفرج ابن الجوزي، دار القلم – دمشق ،ط ١ ،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
*ضعيف الجامع الصغير وزيادته، الألباني ،أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي.
*الطب الروحاني ، ابن الجوزي، المحقق: مُحَمَّد بسيوني ،الناشر :مكتبة الثقافة الإسلامية، ١٤٠٦هـ-١٩٧٦م .
*طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية ،الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ .
*عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، ابن قيم الجوزية ،الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
*عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود العينى، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
*عمل اليوم والليلة، أحمد بن شعيب النسائي،المحقق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة– بيروت،ط٢،١٤٠٦هـ.
*العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، حققه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
*عون المعبود شرح سنن أبي داود، مُحَمَّد أشرف بن أمير بن علي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
*العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ،المحقق: د مهدي المخزومي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

*غريب الحديث؛ أبو سليمان حمد المعروف بالخطابي، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.

*الفتاوى الكبرى لابن تيمية؛ دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

*فتح الباري شرح صحيح البخاري،أحمد بن بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، ترقيم : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي.

*فتح القدير، مُحَمَّد بن علي الشوكاني ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط ١ – ١٤١٤ هـ.

*الفروق للقرافي = أنوار البروق في أنواء الفروق، الناشر: عالم الكتب.

*فيض القدير، المناوي،الناشر: المكتبة التجارية الكبرى — مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

*قاعدة في المحبة، ابن تيمية، المحقق: مُحَمَّد رشاد سالم،الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

*القاموس المحيط، مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت — لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

*الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، ، الناشر: مكتبة الرشد — الرياض.

*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

*كشف المشكل من حديث الصحيحين ، ابن الجوزي، الناشر: دار الوطن — الرياض .

*الكلام على مسألة السماع، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ .

*الكليات، أيوب بن موسى الكفوي، المحقق: عدنان درويش، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت .

*اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

*لسان العرب؛ مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور الأنصاري ، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

*لطائف المعارف، عبد الرحمن ابن رجب، دار ابن حزم للطباعة والنشر،ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

*مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، المحقق: عبد الرحمن ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

*المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))،المؤلف: النووي ،الناشر: دار الفكر .
*مختصر الشمائل، الترمذي، الناشر: المكتبة الإسلامية – الأردن، تحقيق: الألباني .
*مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية ،المحقق: مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
*المراسيل ،أبو داود، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
*مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبوالحسن الهروي القاري، دار الفكر، لبنان، ط١٤٢٢،١هـ.
*المستدرك على الصحيحين؛ الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
*مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ،ط١، من١٩٨٨م/ ٢٠٠٩م.
*المسند الصحيح، مسلم بن الحجاج، المحقق: مُحَمَّد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
*مشكاة المصابيح، مُحَمَّد بن عبد الله الخطيب العمري، ت:الألباني، المكتب الإسلامي– بيروت، ط٣.
*المصنف؛ أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت،ط٢، ١٤٠٣هـ.
*معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ابن الفراء البغوي ، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١ ، ١٤٢٠ هـ.
*معاني القرآن للنحاس ، أبو جعفر النحاس أحمد بن مُحَمَّد ،المحقق: مُحَمَّد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩هـ.
*معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ،المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
*المعجم الأوسط ، الطبراني ،المحقق: طارق بن عوض الله بن مُحَمَّد ، الناشر: دار الحرمين – القاهرة .
*معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة .
*معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام مُحَمَّد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

*مناقب الإمام أحمد ، ابن الجوزي ،المحقق: د. عبد الله التركي، الناشر: دار هجر،ط٢ ، ١٤٠٩ هـ .
*منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: مُحَمَّد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
*المنهاج شرح صحيح مسلم ، أبو زكريا النووي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
*المنهيات ، مُحَمَّد الحكيم الترمذي ، المحقق: مُحَمَّد عثمان الخشت، الناشر: مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع -القاهرة، مصر، عام النشر: ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م .
*نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، ابن الجوزي، المحقق: مُحَمَّد عبد الكريم كاظم ، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
*نيل الأوطار، مُحَمَّد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر ،ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
*الهم والحزن ، ابن أبي الدنيا ،المحقق: مجدي السيد، دار السلام – القاهرة، ط ١، ١٤١٢ - ١٩٩١
*الوابل الصيب من الكلم الطيب ، ابن قيم الجوزية ، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط٣ ١٩٩٩.